حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

عقيدة ختم النبوة
المصالح والمفاسد
دراسة عقدية

إعداد

الأستاذ الدكتور/ نادرة حسن عبد الجواد محمود

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

العام الجامعي ١٤٤٤ هـ/ ٢٠٢٢ م

ملخص البحث باللغة العربية:

عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد "دراسة عقدية"

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

الايمان بعقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد ﷺ معلوم من الدين بالضرورة، والمؤمن بالدين الإلهي متمسك بها الي قيام الساعة، والخارج عن الدين الإلهي منكر لها شقي في دنياه شقي في أخراه.

يقوم البحث في فصول ثلاثة: أولاها: ما يتعلق بمحددات الدراسة، وأعني بها اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وعموم رسالته، ثم ختم النبوة به الي يوم البعث إن شاء الله. ثانيها: المصالح المرتبطة بها يستوي في ذلك ما يقع للفرد والجماعة، للإنس والجن، وغيرهم الي قيام الساعة، وتدور تلك المصالح في مدارات أولها إثبات العقيدة، ثانيها تطبيق الأحكام الشرعية، ثالثها تحقيق السعادة، رابعها حفظ السلم والسلام، خامسها كمال الدين وتمام الأخلاق. ثم يأتي الفصل الثالث: مفاسد انكار عقيدة ختم النبوة، ويدور في مدارات أبرزها مصادمة الفطرة ثم شيوع الإلحاد، وبعده تمكين ذوى القصور العقلي، ثم التقول علي الله تعالي، وإحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية، ثم بيان ما يترتب علي ذلك من أنواع المفاسد. وأخيرًا الخاتمة، وأهم النتائج، وأبرز التوصيات.

الكلمات المفتاحية:

(إثبات النبوة – عموم الرسالة – ختم النبوة – المصالح – المفاسد)

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

The Dogma of Finality of Prophethood: Virtues and Vices (Doctrinal Study)

Nadira Hassan Abdul jawad Mahmoud
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

Abstract:

Belief in the doctrine of the seal of prophecy of our master Muhammad, may God bless him and grant him peace, is necessarily known from religion, and the believer in the divine religion adheres to it until the Hour arises, and the one who is outside the divine religion denies it, naughty in his world and naughty in the end. The research is based on three chapters: The first of these is related to the determinants of the study, which means proving the prophecy of our master Muhammad, may God bless him and grant him peace, and the generality of his message, and then sealing the prophecy with it until the day of resurrection hopefully. Second: the interests associated with it is equal to what happens to the individual and the group, for humans and jinn, and others to the establishment of the hour, and these interests revolve in the orbits of the first of which is to prove the faith, the second is the application of legal provisions, the third is to achieve happiness, the fourth is the maintenance of peace and peace, the fifth is the perfection of religion and the perfection of morals. Then comes the third chapter: the evils of denying the doctrine of the seal of prophecy, and revolves in orbits, most notably the clash of instinct and then the prevalence of atheism, and then the empowerment of people with mental deficiencies, then the saying to God Almighty, and the replacement of the lust of rationality in place of legal texts, and then a statement of the consequent types of evils. Finally, the conclusion, the most important results, and the most prominent recommendations.

Keywords: (Proof of prophecy - the whole message - the seal of prophecy - the interests of evils).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل الأنبياء في الناس هداة مهتدين، وبين جل شأنه أنهم في كل أمورهم قد اصطفاهم الله رب العالمين، وصنعهم علي عينه وزكاهم علي غيرهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾(١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ميزهم بخصائص من عنده، بثها فيهم حتى لا يكون لغيرهم اشتراك معهم في شيء منها، وهذا المبثوث فيهم هو الاستعداد لتلقي الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، شهد له القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة بالنبوة، وعموم الرسالة، وختمها، وجاء ذلك منصوصاً عليه بذكر اسمه صلي الله عليه وسلم، واقترانه بهذه الجوانب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٣) .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلي آله وأصحابه والتابعين والعلماء العاملين، أهل العلم والدين، وأرضي اللهم عن كل من سلك طريقهم، واهتدي بهديهم حتى يقوم الناس

---

(١) – سورة الحج الآيتان (٧٥-٧٦) .

(٢) – سورة الكهف الآية (١١٠) .

(٣) – سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

لرب العالمين.

أما بعد،،،

فإن النبوة المباركة إنما هي إرشاد إلهي وتوجيه رباني، وقد جمعت لها جوانبها من إثبات النبوة، وعمومها، وختمها بالحبيب المصطفي (ﷺ)، واستقر أمرها في الناس أجمعين، ثم جاء من شغب علي واحد منها متبعاً عقله لهواه، وحاول الطعن فيها جميعاً، أو بعضها علي ناحية بذاتها، بل سعي نفر ممن لا يحسبون في عداد ذوي المروءة إلي وضع بعض العراقيل في طريق ختم النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) حتى يكونوا في مأمن من بُعدهم عن تصديق الرسول (ﷺ)، واتباعهم إياه، وهي مما نزغهم إليه شياطينهم الذين لم يتخلصوا منهم، وصاروا يرددونها مع غيرهم حتى يومنا هذا، من ثم فقد كان اختياري هذا البحث بعنوان (عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد دراسة عقدية) وسوف أذكر ما يلي: -

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

بحكم أنني مسلمة من أمة الحبيب المصطفي ﷺ (أمة الإجابة)، وأعلم يقيناً أن التمسك بما جاء من عند الله والمحافظة عليه والدفاع عنه واجب شرعي علي كل مسلم ومسلمة يتمكن من القيام به، ويتأكد هذا الواجب الشرعي علي كل من ينتسب إلي قسم العقيدة والفلسفة، وبناءً عليه فإن أسباب اختيار الموضوع يمكن إجمالها في: -

(١) أن الجوانب الثلاثة (إثبات النبوة، وعمومها، وختمها) جاءت كلها في نصوص قطعية الورود، قطعية الدلالة، وهو المعلوم من الدين بالضرورة، وهذا مما يعين الباحث علي المضي في بحثه وهو علي يقين من سلامة أمره، وكلما أدرك المرء أنه موفق فيما يعمل فإن سعادته في القيام بذات العمل تكون كبيرة.

(٢) أن المحددة البحثية لكل موضوع يجب أن تتناول محاورة في صورة يستكمل معها خطة بحثه، ويحقق من خلالها الأهداف والغايات التي يسعي إليها، وتلك مسألة مهمة في

البحث العلمي، وسوف أقوم عليها إن شاء الله تعالي.

(٣) أن هذه الجوانب استقر عليها أمر السلف الصالح والخلف المستنير، فمن شذ عنها وجب رده عن شذوذه، واستمرار الضغط عليه حتى لا يزداد جرأه، ولا ينتشر في الناس شيء من أخطائه، ومن ثم فمن الواجب دراسة هذا الموضوع في الوقت الحالي، حتى يحقق أهدافه المنعقدة عليه.

(٤) أن ما يتعلق بعقيدة ختم النبوة كبير جداً علي جهة المصالح، يستوي في ذلك أمر الفرد والجماعة، بل والانسانية كلها، وهو الذي جاءت الشريعة الإلهية منبهة له، دالة عليه، قائمة به.

(٥) أن رعاية المصالح واجب شرعي يدل عليه إجماع أهل العلم المعتبرين، علي أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد في العاجل والآجل، وبناءً عليه فالتمسك بها إنما يحقق تلك المصالح حتى يكون في الناس الخير الأمثل من ناحية دنياهم، والأجر الأجزل بأخراهم.

(٦) أن الذين عقدوا العزم علي الطعن في عقيدة ختم النبوة فاتهم ما يترتب عليها من مفاسد تتعلق بالفرد والمجتمع، ومنها الالحاد، والفجور، وغيرها، ومن ثم فإن دراسة هذا الموضوع من الناحية العقدية تكون علي قدر كبير من الأهمية.

ثانياً: منهجي في الدراسة:

أري أن التزام منهج بعينه قد لا يكون موفيًا بالغرض، وإذا ذكرت مناهج متعددة ربما اتسعت الكتابة، ومن المناسب أن يكون المنهج المتكامل هو الذي أتعامل به نظراً لشموله غيره من المناهج الأخرى، وبخاصة أنه استعمال قديم ظهر في مؤلفات الأشاعرة، وبخاصة الإمام الغزالي (ت٥٠٥ هـ) ثم من جاء بعده، وهو في ذات الوقت يلبي احتياجات الباحث من الناحية المناهجية، ولذا تعاملت به من حيث أنه المنهج الذي تتكامل بين جنباته المناهج الأخرى الفرعية، ويقدم في ذات الوقت الخدمة العلمية للباحث المعرفي.

ثالثاً: أهمية البحث:

١ - إبراء الذمة من الخارجين علي إجماع الأمة وردهم إلي ما دلت عليه نصوص الدين الإسلامي، وهو المقصود بسلامة النصوص، وما استقر في صواب العقول، فمن أيقن أن ظنونه لا تصل به إلا إلي حافة الهلاك ربما راجع نفسه وسلم.

٢ - متابعة الاتجاهات المعاصرة في بناءاتها الأولي، واقتلاعها من جذورها، حتى لا تقوي شوكتها وتعوق الطريق، وهي غاية شرعية، وعرفت باسم درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح.

٣- إبراز المصالح المتعلقة بالإيمان بعقيدة ختم النبوة، وقيمتها العقدية، والمعلوم أن لذة العمل تقترن بلذة النتائج، بل هي من الأمور الفطرية عند العقلاء.

٤ - كبح جماح الأفكار الشيطانية التي تحاول تجاوز حدودها، وتسعي للنيل من عقيدة ختم النبوة، فتفح الباب لمن فقدوا عقولهم، أو فقدوا توجهاتهم، أو صاروا أسري من يقومون علي خدمتهم فكشف هؤلاء وبيان زيفهم ومناقشتهم، وإفساد تحركاتهم، دال علي أهمية البحث من تلك الجوانب.

رابعًا: المشكلات البحثية:

(١) كثرة المؤلفات التي تتناول المصالح، دون نظر إلي المفاسد فكأنها تتحدث مع نفسها، ولا تتوجه بما تذكر إلي طائفة بعينها، وبخاصة تلك التي دونت في فترات مرت عليها قرون، ومشكلات المعاصرين رغم أن جذورها قديمة لكن صياغاتها مستحدثة.

(٢) كثرة الكنايات التي تتناول عقيدة ختم النبوة من ذوي الاتجاهات البعيدة عن الشرع الإلهي، واستخدام صياغات ذات دلالات جدلية معاصرة، ربما تكون أقرب لثقافة الشباب البعيد عن دين الإسلام، وتتم مخاطبتهم بها، وهذا من شأنه خداعهم ودفعهم إليها، واقتباسهم منها دون الرجوع إلي الأصول الصحيحة، فيقع ما لا يحمد عقباه.

(٣) انتشار ظاهرة الإلحاد العلمي، والفكري، والأخلاقي، وأمثالهم ممن يجدون متسعًا في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمصورة، ومن ثم فإن هذا البحث يحاول القفز إلي نتائج ما ذكره هؤلاء -إن كانت لهم نتائج- ثم يقضي عليها حتي لا يبقي لها أثر.

خامساً: مكونات الدراسة:

مقدمة تشتمل علي أسباب اختيار الموضوع، المنهج المستخدم، أهمية البحث، مشكلات الدراسة، الفصل الأول، ويشتمل علي محددات بحثية، وهي: -

المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد (ﷺ).

المحدد الثاني: عموم رسالة سيدنا محمد (ﷺ).

المحدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ).

تعقيب.

الفصل الثاني: مصالح الاعتقاد بختم النبوة.

الفصل الثالث: المفاسد المتعلقة بإنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ).

الخاتمة: وتشتمل علي أهم النتائج، ثم أبرز التوصيات، وقائمة المصادر، والفهرس العام.

وبعد فإن أكن قد وفقت فما هو إلا من أفضال الله جل علاه، وإن تكن الأخرى، فحسبي أنني اجتهدت، وهو يدور بين الأجر والأجرين، ربنا أتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

الفصل الأول
محددات بحثية

تمهيد:

من لطف الله تعالي ورحمته بعباده أن بعث فيهم الأنبياء والمرسلين حتى يكونوا هداة الخلق لله رب العالمين؛ لأن البعثة "لطف من الله تعالي ورحمة للعالمين، لما فيها من حكم ومصالح لا تحصي"(١)، قد يدركها العقل الواعي علي وجه الإجمال، وقد يدركها علي إحدى نواحي التفصيل، وذلك من أفضال الله تعالي(٢).

ثم إن الرسول مبعوث من الله تعالي، وهو في بني البشر مثلهم من ناحية البشرية فربما وقف منه بعض من تمنوا البعثة لأنفسهم فأنكروه حسداً ولجاجاً، وجادلوا في شأنه وهو بينهم، ثم نقلوا ذلك إلي من خلفهم.

ورسول الله صلي الله عليه وسلم سيدنا محمد بن عبد الله وقع له مثل ما وقع لغيره من أنبياء الله ورسله، وحكاه القرآن الكريم بأسلوبه المعجز في قوله تعالي: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾(٣)، فرد عليهم بقوله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا**

---

(١) – العلامة السعد التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، المجلد الثاني، ص١٧٣، طبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي ١٣٠٥هـ.

(٢) – فوائد بعثة الرسل متعددة منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفتها، مثل وجود الله تعالي وعلمه وقدرته، ومنها استفادة الحكم من النبي إلي غيرها، وقد عدها الكثيرون وزادوا في عددها، وما أجمل عبارة السعد بقوله فيها حكم ومصالح لا تحصي.

(٣) – سورة الزخرف الآية (٣١).

﴿يُجْمَعُونَ﴾[1]، ومن ثم جاءت الآيات القرآنية مثبتة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، مبينة مكانته ومنزلته عند ربه.

ثم إنه صلي الله عليه وسلم قد بعثه الله للعالمين فقال جل شأنه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، وهو معني عموم رسالته ﷺ، بحيث تشمل الإنس والجن وغيرهم، بدلالة قوله جل شأنه (العالمين).

غير أن البعض كرهوا أن تكون رسالته عامة، وحسبوا أن تكون خاصة، ظناً منهم أن في خصوصيتها فتح باب لمن يأتون بعده في أمم أخري، واعتبروا نبوته للعرب وحدهم.

لقد رأي أهل العلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم جاءت نبوته عامة طبقاً لما ورد به النقل المنزل، يدل عليه ما ذهب إليه العلامة محمد الأمير بقوله: "إن الله سبحانه وتعالي جعل سيدنا محمدا فوق جميع الأنبياء، دل عليه الاشارة بالميثاق"[3]، مستدلاً بقوله تعالي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[4].

ولما كانت الرسالة لسيدنا محمد ثابتة في ذاتها، وعامة من حيث وضعها، فمن المؤكد أنها خاتمة النبوات والرسالات، وقد شهد لها ربها في قوله تعالي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ

---

(١) – سورة الزخرف الآية (٣٢).

(٢) – سورة الأنبياء الآية (١٠٦).

(٣) – الشيخ محمد بن الأمير، حاشية الأمير علي شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني ص١٢٢، وبهامشها اتحاف المريد شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد، ط. الأخيرة الحلبي، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٨م.

(٤) – سورة آل عمران الآية (٨١).

رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

تلكم هي المحددات الثلاثة التي أشرت إليها وقد ذكرتها علي سبيل الاجمال ومن المناسب أن يدور أمري معها في إيجاز لا يخل ولا تطويل يمل، وسيكون ذلك علي النحو التالي إن شاء الله تعالي:

١) المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم:

أخبر الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم أنه أرسل سيدنا محمداً (ﷺ) علي حين فترة من الرسل قال تعالي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2]، وبين جل شأنه أنه جعل رسالته هداية وبلاغاً وإرشاداً وتنبيهاً حتى يقود الخلق للحق جل شأنه، ومن ثم فنبوته (ﷺ) وشريعته محفوظتان من قبل الله تعالي، قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3].

وقد ابتدأت نبوته (ﷺ) لأهله أولاً، ثم من تبعهم، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4]، ثم توسع أمرها فشمل أم القري ومن حولها، وهو المعروف بالتدرج في طريق الدعوة والإبلاغ، قال تعالي: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[5].

---

(١) – سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) – سورة آل عمران الآية (١٤٤).

(٣) – سورة الأنبياء الآية (١٠٦).

(٤) – سورة الشعراء الآيات (٢١٤-٢١٦).

(٥) – سورة الشوري الآية (٧).

ثم إن نبوته (ﷺ) قد ثبتت من خلال شهادة الكتب السابقة منها قوله تعالي: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1]، وقد ذكر أهل العلم أن مثبتات نبوته (ﷺ) تعددت، وكل مثبت منها كاف وحده في بيان هذا الاثبات.

ومن المؤكد أن التأييد بالمعجزات سنة الله في خلقه، من حيث إن ذلك مطابق لأحوالهم، وبخاصة إذا وقع تحد من المخالفين له قال الشيخ عبد السلام المالكي في شرحه علي الجوهرة: " أثبت الله نبوتهم ورسالتهم وصدقهم بإظهار خوارق العادات علي أيديهم مطابقة لدعواهم، معجزة للمعارضين تكرماً وتفضلاً، وإحساناً من غير إيجاب ولا وجوب[2] .

وقد ذكر العلماء مثبتات النبوة علي وجه الإجمال، ومنها: -

١) خوارق العادات: واعتبروا المعجزة هي أول خارق وعرفوها بأنها " أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة[3]، ويستمر هذا الاعجاز في الرسالة الخاتمة قائماً إلي يوم القيامة.

ذهب علماء الإسلام إلي أن سيدنا محمداً (ﷺ) ثبتت نبوته علي الخلق أجمعين، وقد ذكر الفخر الرازي ت (٦٠٦هـ) أن "الدليل القاطع علي نبوته أنه ادعي النبوة"[4]؛ وأنه ﷺ في

---

(١) - سورة الصف الآية (٦) .

(٢) - الشيخ عبد السلام ابن إبراهيم اللقاني المالكي شرح عبد السلام المسمي إتحاف المريد علي جوهرة التوحيد هامش حاشية محمد بن محمد الأمير، ص١٢١، ط الحلبي الأخيرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

(٣) - العلامة السعد التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، المجلد الثاني، ص١٧٦، طبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي ١٣٠٥هـ.

(٤) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص٢٩٩، تحقيق د/ أكرم عبد الوهاب، ود/ علي =

دعواه النبوة لم يقتصر علي جماعة بذاتها، وإنما كان للعالمين فقد ترددت تلك العبارة "دعوي النبوة" في المؤلفات الكلامية من غير تحديد لها مما يدل علي عمومها، وقد نبه إلي ذلك الأشاعرة والماتردية وغيرهما، فها هو العلامة كمال الدين ابن أبي الشريف (ت ٨٦١هـ) يقرر أن سيدنا محمداً "ادعي النبوة عن الله تعالي"[١] .

وقد سعي الإمام الفخر الرازي إلي بيان تلك المقدمة، وذكر أنها "تبني علي أصول بعضها ضرورية كالعلم بظهوره (ﷺ) وادعائه النبوة"[٢]، ووجه الضرورة هنا نبه إليه الإمام الإيجي (ت٧٥٦هـ) فذكر أن دعواه النبوة صلي الله عليه وسلم " متواتر تواتراً ألحقه بالعيان"[٣]، وقد ذكر العلامة السنندجي (ت١٣٠٤ هـ) في بيان هذا الجانب أن دعوي النبوة فيها التواتر والاتفاق حتى جرت مجري الشمس في الوضوح، وتلك ضرورة عقلية لا محالة، ومن طعن فيها فلا يقبل له رأي، تطبيقاً للقاعدة الصحيحة أن الطعن علي الضرورات العقلية دال علي أن الطاعن قد فقد قدرته العقلية ومثله لا يلتفت إليه[٤] .

ولا شك أن هذا المسلك قائم علي جانب العقل ولا مطعن عليه، ويعلق ابن خمير

=

الفقير الطبعة الأولي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(١) – العلامة كمال الدين محمد بن محمد المعروف بان أبي شريف "المسامرة بشرح المسايرة"، ص١٩٥، تحقيق: الشيخ محمد محي الدين طبعة دار الطلائع ٢٠١٣م، ومعه شرحان جليلان أحدهما تأليف الشيخ قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ)، والآخر نتائج المذاكرة بتحقيق مباحث المسايرة للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) – الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص٢٩٩.

(٣) – الإمام عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص٣٤٩، مكتبة المتنبي بالقاهرة، سلسلة مطبوعات في علم الكلام .

(٤) – الشيخ عبد القادر بن محمد السنندجي "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام"ج٢، ص١٠٧.

السبتي (ت٦١٤هـ) مبينًا أن هذه النبوة ثابتة لرسول الله (ﷺ) بالعقل والنقل مؤكداً أن الذين حاولوا إنكارها إنما كان دافعهم إليه هو ما وقعوا فيه من أكل أموال الناس بالباطل، وميلهم إلي التمسك بما فيه مصالحهم، رغم أنها مصالح فاسدة، فيقول: "إن سبب طعن أهل الملل الكتابية علي نبوته عليه السلام إنما هو لأجل حفظ الجاه عند مقلديهم من العوام[١] ....، لكونه أرسل إلي الكافة، ودعي الكافة إلي ترك ما بأيديهم من أصل شرائعهم مع ما تقولوه من كذب علي كتب الله تعالي...[٢]، والرجوع إلي أحكام شريعة بيضاء نقية لم تشب، وترك شرائع دخلها التبديل والتغير[٣] .

كذلك ثبتت نبوة سيدنا محمد بالدلائل النقلية الواردة في القرآن الكريم والكتب السابقة التي صحت نسبتها إلي الله تعالي، وحكاها القرآن الكريم، قال تعالي: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[٤] .

---

(١) - فكرة خداع العوام من أصحاب الرئاسة الدينية المزعومة له مردود دلت عليه ظواهر النصوص الدينية الإسلامية من خلال تصديق العوام لرؤسائهم قال تعالي حكاية عنهم: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾ سورة الأحزاب الآيتان (٦٧-٦٨) .

(٢) - يدل عليه ظاهر قوله تعالي: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ . سورة البقرة الآيتان (٧٨-٧٩)

(٣) - العلامة ابن خمير السبتي، مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين، ص٢٣٨، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبه، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، الطبعة الأولي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٤) - سورة الأحزاب الآيتان (٤٥-٤٦)

ومما حكاه القرآن الكريم علي ألسنة النبوات السابقة قوله تعالي: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1].

وبذا تكون نبوة سيدنا محمد (ﷺ) قد ثبتت بالأدلة العقلية التي لا مطعن عليها والأدلة النقلية التي لا يمكن لأحد صحيح العقل أن ينكرها[2]، نظرا لتوافقهما معا من كافة الوجوه.

أضف إلي ما سبق أن الإمام الفخر الرازي وهو يتحدث عن مثبتات النبوة المباركة قدم بجانب ما سبق -ظهور المعجزة علي يديه صلي الله عليه وسلم-، فقال: الواضح أن الخلائق قد عجزوا عن معارضة ما ظهر علي يديه من خوارق العادات بعد تحديه بها[3]، فإنه يجب أن يكون نبيًا، والمقدمة الأولي صحيحة والثانية كذلك[4].

أجل لقد بين الماتريدية معني الوجوب الوارد عند الفخر الرازي الأشعري من باب التأكيد علي -التقاء الطرفين الأشاعرة والماتريدية-علي قاعدة سواء، قال العلامة الخبازي (ت٦٩١هـ): "قال عامة المتكلمين بعثة الأنبياء جائزة، وعند المحققين من أصحابنا أنها واجبة ولا يعنون بكونها واجبة أنها يجب علي الله بإيجاب أحد أو بإجابة علي نفسه بل يعنون

---

(١) - سورة الصف الآية (٦).

(٢) - توسع ابن خمير السبتي في عرض الردود علي منكري نبوة سيدنا محمد ﷺ وبذل جهداً يحسب له راجع مقدمات المراشد، ص٢٣٨-٢٤٠.

(٣) - هذا القيد عند الرازي له فيه وجهان، أحدهما أن يقع التحدي من النبي مباشرة، كما هو الحال في طلبه منهم الاتيان بمثل القرآن الكريم، أو بمثل عشر سور من مثله، أو سورة من مثله، الوجه الثاني أن يكون التحدي من جهة المكذبين المنكرين، فإذا جاءهم علي ما طلبوا ولم يؤمنوا دل الأمر علي جحودهم وإنكارهم.

(٤) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص٢٩٩.

أنها متأكدة الوجود؛ لأنها من مقتضيات الحكمة، فيكون عدمه من باب السفه، وهو محال علي القديم[١].

وذكر العلامة ابن أبي شريف أن الرسول محمد (ﷺ) ادعي النبوة عن الله تعالي، وأظهر المعجزة تصديقًا له في دعواه، فإنه لا محالة يجب أن يقع له التصديق فقال: "أما دعواه النبوة فقطعًا لا يحتمل التشكيك؛ لأنه قد تواتر تواتراً ألحقه بالعيان والمشاهد، وأما إظهاره للمعجزة فلأنه أتي بأمور خارقة للعادة، مقرونة اتيانه بها بدعواه النبوة تصديقًا له في دعواه أنه مرسل عن الله تعالي[٢].

بناءً علي ما سبق تكون المعجزة الواردة مع سيدنا محمد (ﷺ) جامعة بين الطريقين الأولين، طريق الضرورة العقلية، وطريق الأدلة النقلية، فإذا حسب أمر المعجزة دليلاً برأسه كان كافيًا لاشتماله علي حجج العقل والنقل من حيث أن المعجزة الكبرى لرسول الله (ﷺ) الباقية أبد الدهر هي القرآن الكريم.

ثم ينتهي الفخر الرازي إلي نتيجة قامت لديه علي مقدمات صحيحة، قال فيها: إن من ظهرت المعجزة علي يديه بالشرائط المذكورة فهو نبي، فيلزم منه القطع بنبوته صلوات الله عليه، والنبي لا يجوز أن يكون كاذبًا"[٣]، وهو اتجاه واضح في دلالته سار مع الرازي فيه الكثيرون.

ونبه الشيخ السمرقندي (ت٦٩٠هـ) إلي أن ما تعلق بمعجزة المصطفي يجيء فيه التواتر من جوانب ثلاث، أحدها: أنه أتي بالقرآن وإعجازه بالتواتر، ثانيها: أنه أتي بمعجزات

---

(١) – العلامة جلال الدين عمر الخبازي كتاب "الهادي في أصول الدين، ص٢٠٥.

(٢) – الشيخ كمال ابن أبي شريف، المسامرة بشرح المسايرة، ص١٩٥.

(٣) – الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص٢٩٩.

كثيرة مجموعها من حيث الرواة بلغ حد التواتر، ثالثها: أخباره بالمغيبات وقد بلغ في ذلك حد التواتر[١]، ومن كان ذلك شأنه فمن المؤكد أن نبوته هي التواتر ذاته .

لقد نبه العلماء إلي أن مثبتات نبوة سيدنا محمد (ﷺ) بعد ما سلف ذكره تدور في وجوه أحدها الاستدلال بأخلاقه وأفعاله وسيرته صلي الله عليه وسلم[٢]، ثانيها: أخبار الأنبياء المتقدمين[٣]، إلي غير ذلك مما تردد في المؤلفات العقدية وغيرها.

وقد أفرد الإمام الغزالي لهذه الدلائل صفحات مطولة في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد بدءاً من حديثه عن وجه إعجاز القرآن الكريم إلي آخر هذا القطب علي ناحية تفصيلية، وفيها الكثير من الجوانب التي تفيد طالب العلم وتعينه علي تحقيق غايته، وقد أضاف إليها كثيرون من مفكري المسلمين إبداعاً أو نقلاً، ومن أبرزها في الوقت الحاضر ما ذكره أ. د/ عوض الله حجازي[٤]، وما ذكره أ/ وحيد الدين خان في كتابه الإسلام يتحدى[٥]، ومن ثم فإن ما يذكر

---

(١) - راجع للعلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص٤٢٢-٤٢٣، تحقيق د/ أحمد عبد الرحمن الشريف، مكتبة الفلاح بالكويت الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) - تفاصيل هذا الدليل منبثة في الكتب الكلامية علي نواح متعددة راجع للإمام سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد ج٢، ص١٨٧-١٨٩.

(٣) - أفرد الإمام الشهرستاني لهذا الجانب صفحات راجع الملل والنحل، ج٢، ص١٨، تحقيق أ/ عبد العزيز الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٦٨م، وراجع للإمام السمرقندي الصحائف الإلهية ص٤٢٣-٤٢٨، والسعد التفتازاني شرح المقاصد، ج٢ ص١٨٩-١٩١.

(٤) - راجع د/ عوض الله حجازي دراسات في العقيدة الإسلامية ص٨٩-٩١، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة الطبعة الأولي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٥) - راجع كتابه الإسلام يتحدى حيث ذكر فيه شهادة كل من ليبنتز، والبروفسير سميث، والبروفسير سقويارت، والدكتور موريس بوكاي في كتابه الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٣٠٢.

بشأن المحدد الأول هو التواتر نفسه.

(٢) المحدد الثاني: عموم رسالته ﷺ:

شاءت إرادة الله تعالي أن يبعث سيدنا محمد (ﷺ) برسالة عامة تشمل الزمان والمكان والأشخاص، بل الإنس والجن، وقد دلت عليه دلائل من النقل والعقل، فمن النقل قوله تعالي: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[١]، وهي أمة الدعوة، وقوله تعالي: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٢]، وقوله تعالي ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٣]، يستوى في ذلك عموم الزمان والمكان، وعموم الأفراد والجماعات، وقد اجتهد علماء المسلمين في بيان هذا الجانب من عموم الرسالة للإنس.

وجاءت آيات أخري تتحدث عن بعثته (ﷺ) للجن منها قوله تعالي: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ**﴾[٤]، وقوله تعالي: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾[٥]

وجاءت النصوص الشرعية علي وجه العموم كتابًا وسنة، متحدثة عن بعثته للجن والإنس معًا، من ذلك قوله تعالي: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ**

---

(١) – سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) – سورة سبأ الآية (٢٨).

(٣) – سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٤) – سورة الأحقاف الآية (٢٩).

(٥) – سورة الجن الآية (١).

﴿أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[١] .

وعرف هؤلاء بالثقلين، وصار ذلك من الضروريات القطعية التي لا يجادل فيها صاحب عقل سليم، وإذا جادل وظهر له الصواب رجع إليه وأعلن تصديقه به، وخرج عما كان يعتقده طالما فتح الله عليه بنور الإيمان، واستفتح قلبه بهدي الله الذي بعث به المصطفي (ﷺ) للإنس والجن، للأبيض والأحمر حتي تقوم الساعة.

ومن المؤكد أن عموم بعثته (ﷺ) للإنس والجن في كل زمان ومكان مشار إليها بالتفصيل الوارد في قوله تعالي: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢] .

وإذا كان الأنبياء قبل سيدنا محمد (ﷺ) كانوا يبعثون إلي أممهم خاصة وجاء الرسول (ﷺ) للإنس والجن عامة فقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أنه (ﷺ) صاحب الرسالة الكبرى إلي يوم القيامة، وهذه المسألة المتعلقة بعموم الرسالة (خص بها المصطفي صلوات الله عليه وسلامه)[٣]، فهو الأعم ورسالته العامة إلي يوم الدين.

وقد أكد ابن خمير السبتي (ت٦١٤) أنه (ﷺ) قد أرسل إلي الكافة، ودعاهم إلي ترك ما يؤذيهم، والرجوع إلي أحكام شريعة بيضاء نقية، وقد تنبه إلي دعواه الكثيرون، ثم انقسموا إلي أضرب ثلاث، أحدها: ما رأي في معجزاته وأضافها إلي السحر والشعوذة[٤] .

---

(١) – سورة الرحمن الآية (٣٣) .

(٢) – سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

(٣) – الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٣٨، تحقيق أ/ عبد العزيز محمد الوكيل.

(٤) – هذا الضرب أنكر النبوة علي وجه العموم، واعتبر كل المعجزات الحسية مردها إلي أفعال يمكن =

ثانيها: ضرب أنكر النسخ وموه علي العوام وهؤلاء محجوبون في كل ما ذهبوا إليه من إنكارهم ثبوت النبوة وعمومها، والأدلة قائمة علي تكذيبهم في كل ما ذهبوا إليه ((١)، فالحق أحق أن يتبع، والباطل يجب أن يقتلع.

ثالثها: ضرب قال بنبوته ولكن للعرب خاصة لا للكافة(٢)، وهو الموضع الذي نحتج به عليهم، ونتحاكم إلي النصوص بشأنه حتى يظهر فساد قولهم.

من المناسب القول بأن النبوة العامة التي جاء بها الرسول محمد (ﷺ) لم يقع لها اختراق إلي يومنا هذا، وأن كل الذين زعموا لأنفسهم النبوة بان كذبهم، وظهر في الناس ضلالهم، كما عجز كل مفرد لهم عن دفع أحاد الناس إلي تصديقهم يستوي في ذلك أمر الإنس كما نشاهد وأمر الجن لما هو ثابت من أنه ما من أحد بعد الرسول (ﷺ) زعم لنفسه النبوة، وزعم أنه مرسل إلي الجن أيضًا، وهذا في حد ذاته دليل عقلي وواقعي علي عموم نبوة سيدنا محمد للإنس والجن علي الانفراد والتلاقي، كما أن الذين زعموا نزول الملائكة إليهم يبشرونهم بالنبوة بعد الرسول (ﷺ) لم يزعم واحد منهم أو يؤكد –مع كثرتهم– بأنه مرسل إلي الإنس والجن(٣).

=

الاتيان بمثلها، وقد كذبهم القرآن الكريم وكذبتهم السنة المطهرة وكذبهم الواقع في كل ما زعموا؛ لأنهم لم يأتوا بمثل ما وقع التحدي عليهم به.

(١) – النصوص الشرعية والدلائل العقلية القطعية التي ثبتت بها النبوة المحمدية وعمومها حاكمة علي أن كل ما يخالفها ساقط بالأدلة النقلية والعقلية والواقعية.

(٢) – راجع لابن خمير السبتي "مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين ص٢٣٨.

(٣) – جميع الدراسات التي كتبت بشأن مدعي النبوة بعد الرسول (ﷺ) لم يزعم واحد منهم –حسب قراءتي– أنه أرسل إلي الجن، وهذا في حد ذاته كاف في إثبات عموم النبوة المباركة سيدنا محمد (ﷺ)

=

ذكر الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (٩٧١هـ-١٠٧٨هـ) أن الرسول (ﷺ) جاءت بعثته عامة في الزمان والمكان، فأرسله الله إلي جميع المكلفين من الإنس والجن إجماعاً، ويأجوج مأجوج، والملائكة، وجميع الأنبياء، والأمم السابقة، لدخول الجميع تحت قوله صلي الله عليه وسلم: "بعثت إلي الناس كافة ولشموله لهم من لدن آدم إلي قيام الساعة وجميع الحيوانات والجمادات حتى إلي نفسه ﷺ"[(١)].

وذهب المحققون من العلماء الذين بنوا أراءهم علي النقل الصحيح والاجماع إلي أن الرسول (ﷺ) أرسل إلي الإنس والجن إجماعاً، وهو معلوم من الدين بالضرورة، "وأنه (ﷺ) مرسل إلي العالمين إرسال تكليف بمن فيهم الملائكة لما يليق بهم، فإن منهم الراكع والساجد إلي يوم القيامة، وما كلف به الإنس تفصيلاً وإجمالاً، فقد كلف به الجن كذلك، وشمل ذلك يأجوج ومأجوج"[(٢)]، فإذا ما وضعنا تلك القاعدة الذهبية في موضعها وطبقناها علي أدعياء النبوة إلي يومنا هذا وجدناها تكذبهم، وتنفي مزاعمهم، وفي ذات الوقت ينفرد الرسول (ﷺ) بأن رسالته قائمة إلي يوم القيامة.

كما أن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) للعالمين بما فيهم الإنس والجن والملائكة وقع تفصيل فيما يتعلق بنوع الإرسال واتفقت كلمة العلماء، وصح إجماعهم علي أمور تتعلق بهذا الإرسال مما يقطع الطريق علي مدعي النبوة حتى يوم القيامة:

=

للإنس والجن، وغيرهما علي ما ذهب إليه المحققون.

(١) - الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي "إتحاف المريد علي جوهرة التوحيد" ص١٢٢ بهامش حاشية محمد بن محمد الأمير.

(٢) - الشيخ محمد نووي الشافعي، نور الظلام، شرح منظومة عقيدة العوام للسيد أحمد المرزوقي المالكي المكي، وبهامشه المنظومة المذكورة ص٢٥، ط٢، الحلبي ١٣٥٥-١٩٣٦م.

أولها: إرسال التشريف، وهو الذي يكون للملائكة، وفيه دلالة علي أن الرسول أشرف من الملائكة[١].

ثانيها: ارسال التكليف، وهو الذي يكون للجن والإنس أجمعين لقوله تعالي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

ثالثها: إرسال تأمين من الخسف، وهو الذي يكون للجمادات بأنواعها[٣].

بل ذكر أهل العلم أن الرسول (ﷺ) أرسل إلي كافة المخلوقات علي اختلاف نوع الارسال، ونبه الشيخ أحمد الصاوي علي هذا فقال: "أرسل الله سيدنا محمد إلي الخلق جميعًا، ولكنه إرسال تكليف للإنس والجن، وإرسال تشريف للجمادات والحيوانات الغير عاقلة، إرسال تشريف، وللملائكة قيل إرسال تكليف وقيل إرسال تشريف"[٤].

فإذا نظرنا إلي هذا الجانب من عموم رسالته (ﷺ) تبين أنه قائم لم ينقطع حتى يوم القيامة، ولو أنه انقطع لبلغنا خبره، فدل الأمر علي أن ذلك من الحفظ الإلهي لعموم النبوة

---

(١) – هناك اجتهاد لبعض العلماء في إرسال الرسول (ﷺ) للملائكة هل هو تشريف أم تكليف، فمن قال بأنهم مكلفون من أصل الخلقة اعتبر إرسال الرسول إليهم إرسال تشريف، ومن نظر إلي أن الرسول (ﷺ) مرسل لجميع العالمين دخلت الملائكة في عداد أمته فلا مانع لديهم من القول بأنه إرسال تكليف، فعلي الرأي الأول ذهب ابن حجر ومن تبعه كالسبكي وجمع من المحققين إلي أن إرساله إلي الملائكة تكليف لما يليق بهم، وإلي الثاني ذهب العلامة الشيخ محمد الرملي اعتقاداً منه أن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها، ولكل وجهة مع اتفاقهم جميعًا في أنه (ﷺ) مرسل إليهم أيضًا.

(٢) – سورة الأنبياء الآية (١٠٦).

(٣) – راجع هذه التفصيلات لدي الشيخ محمد نووي الشافعي "في نور الظلام، ص٢٥.

(٤) – الشيخ أحمد الصاوي حاشية علي شرح الخريدة البهية، ص٦٠، وبالهامش شرح الخريدة البهية لأبي البركات الدردير، مطبعة الحلبي، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

المباركة، ودوامها في الزمان والمكان والأشخاص، وهي أمة الدعوة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المباركة.

وقد نبه العلامة الجلال الدواني (ت٩٢٨) إلي هذا الجانب، مبيناً أن النبوة العامة لرسول الله (ﷺ) قائمة في أنه ادعي النبوة، وأظهر الخوارق وكليهما بلغ حد التواتر علي أن القرآن الكريم الذي أوحي إليه موجود محفوظ، وقد دعا المخالفين مراراً عديدة إلي المعارضة، فعدلوا عنها إلي غيرها[١]، وما زال هذا التحدي قائماً، وسيظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذا كان الجانب الأول من توضيح عموم البعثة المباركة قد قام علي فكرة التحدي واستمرارها فإن الجانب الآخر الذي لم يقع لواحد من مدعي النبوة بعد الرسول (ﷺ) القول به من حيث إرساله للجن، والنبات، والملائكة وغيرهم، يمثل ضرورة عقلية وأخري شرعية علي عموم نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، وأنها للإنس والجن حتى تقوم الساعة من غير حاجة إلي التماس دلائل أخري؛ لأن الدعوي إذا كانت أدلتها برهانية فقد شهدت لنفسها من غير حاجة إلي أدلة أخري.

أضف إلي ما سبق أن كل النبوات الواردة عن الله تعالي قبل نبوة سيدنا محمد (ﷺ) كانت نبوة خاصة، فلما بعث الرسول (ﷺ) كانت نبوته عامة ولا يعقل أن تنخرم العامة بخاصة، فبان أن كل من ادعي النبوة بعد سيدنا محمد كاذب في دعواه ودليل علي بطلان ما ادعاه[٢].

---

(١) - الشيخ الفاضل المولي محمد بن أسعد الصديقي الشهير بالجلال الدواني، العقائد العضدية ص٢٠٢، بهامش حاشيتي الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي، والشيخ محمد عبده، المطبعة الخيرية ١٣٢٢هـ.

(٢) - البين أن الوجوه الثلاثة تؤكد عموم نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وأعني بها الوجه الأول: التحدي =

(٣) المحدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ):

اقتضت حكمة الله تعالي أن يجعل الرسالة المحمدية خاتمة لجميع الرسالات، كما أن نبوته (ﷺ) خاتمة لجميع النبوات، وما دامت النبوة والرسالة قد ختمتا به، فمن المؤكد أن ذلك قائم من غير استثناء، يدل عليه آيات منها قوله تعالي: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾(١)، وقوله ﷺ: "«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول، فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»(٢)، وقوله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"(٣).

كما دلت ظواهر النصوص النقلية علي انقطاع النبوة بعد سيدنا محمد (ﷺ)، بدليل قوله تعالي: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ**

=

واستمراره دون انقطاع، الوجه الثاني: إرساله للإنس والجن وغيرهما، ولم يقع ادعاء مدع بعد النبوة العامة أنه مرسل إلي الجميع، الوجه الثالث: أن العام لا ينخرم بالخاص، فثبت أن مدار عموم البعثة المباركة قائم علي وجه صحيح لا ينال منه أحد أبداً.

(١) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) - الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري "المسند الصحيح المختصر"، ج٣، باب (الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء)، ص١٤٧١، رقم الحديث (١٨٤٢) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج١، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، ص٣٧١، رقم الحديث (٥٢٣).

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]، وهي شاهد برأسه علي أنه لا نبي بعده (ﷺ) بدلالة ذكر السابق (قد خلت من قبله الرسل)، وإذا قطع النص المفهوم بين السابق واللاحق انصرف القول إلي أن اللاحق ليس موجوداً لانقطاع الصلة بين ما كان موجوداً قبل النبوة الخاتمة، وما يستحيل وجوده بعدها، وذلك مما يجري في العقول السليمة مجري البدهيات .

لقد ربط مفكرو الإسلام رباطا وثيقاً بين النص المنزل والواقع المعاش، فأكدوا أن النبوة الخاتمة قائمة حتى تقوم الساعة، وأنه لا نبوة بعدها وفي ذات الوقت ردوا دعاوي مخالفيهم، وبينوا أسباب المخالفة وسقوطهما معًا علي ناحية عقلية، وأخري نقلية، وثالثة واقعية، وسوف أشير إلي أن إثبات الختم يدور في أمرين أحدهما المعقول، والثاني المنقول.

الأول: المعقول:

وهو يجيء من وجوه أحدها كمال الإسلام وتمام النبوة، يقول الإمام السمرقندي: "إن النبوة قد كملت به، وتمت ولا زيادة بعد التمام...."[2] .

فإن ما أتي به من الكتاب والسنن يشتمل علي جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدنيا، والأخرى، من الحكمة النظرية والعملية سياسة وطاعة علي أحسن الوجوه وأعدلها، وأقربها من العقل، فيصلح لكل الأمم في جميع الزمان والقرون، ويغني عن أصول أخري"[3]، وهو اتجاه واضح في دلالته العقلية علي ختم النبوة المباركة بسيدنا محمد (ﷺ) .

---

(١) – سورة آل عمران الآية (١٤٤) .

(٢) – من المعلوم أن الشيء إذا كمل وبلغ حد تمامه، فلا تصح معه زيادة، لأن الزيادة تفسده وتحوله من الكمال إلي النقصان، وهذا مما لا يصح ذكره في مجال وارد عن الله عز وجل؛ لأن الله هو الكمال المطلق، وهذا دليل عقلي بمعناه.

(٣) – العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص٤٣٢.

ثم هو دليل علي أن الدين الذي جاء به محمد (ﷺ) هو كمال الدين واتمام النعمة بالنبوة الخاتمة التي امتن الله تعالي بها علي الناس، كما هو تصريح واضح من رب العزة بأن الدين الذي جاء به سيدنا محمد (ﷺ) قد بلغ طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر والصلاحية للبقاء والاستمرار، يقول الشيخ الندوي" ليس ذلك إلا إعلاناً بانتهاء سلسلة النبوات والرسالات السماوية بنبوة سيدنا محمد (ﷺ) ورسالته[1]"، وهذا الوجه كاف علي ناحية المعقول عند انفراده.

الوجه الثاني: انعدام النسخ:

ومعناه أن كل نبوة سبقت كانت تقبل النسخ، وقد وقع فيها كثير من التحريف والتبديل، أما تلك الرسالة المباركة فقد حفظها الله بعنايته، وجعل هذا الدين مستمراً منتصراً سالماً من التحريف والتبديل، وهذا في حد ذاته دليل عقلي وواقعي معاً، بدليل أنه لم يزعم أحد شيئاً من النسخ في تلك الديانة عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وكل محاولة مهما كانت صغيرة بان فسادها من أول أمرها، وهو واضح في أن الله تعالي هو الحافظ لها بدلالة النصوص النقلية الواردة في هذا الشأن، ومنها قوله تعالي في القرآن الكريم: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[2].

ومن المؤكد أن الهيمنة تقتضي أن يكون الرسول (ﷺ) الذي أنزل عليه القرآن الكريم

(١) – الشيخ أبو الحسن الندوي، خاتم النبيين، ص١٥.

(٢) – سورة المائدة الآية (٤٨).

هو الهداية الثابتة بل الدائمة[١]، ومن ثم تبطل كافة الدعاوي المخالفة وتبقي عملية الختم قائمة.

الوجه الثالث: استحسان العقول السليمة:

يقول الشيخ السمرقندي أن الرسالة الخاتمة قد: "استحسنت العقول السليمة وتلقتها الطباع السليمة بالقبول، وهو مع ذلك واف بالغرض، ويكون مغنياً عما سواه، ومُلغياً لما عداه، بخلاف سائر الشرائع السابقة، فإن فيها طرفي الافراط والتفريط، والبعد من العقل[٢].

وهذا الوجه القائم علي أن استحسان العقل السليم واستلهام الفطر الصحيحة، والبناء علي القواعد السليمة، كاف في إثبات النبوة الخاتمة علي ناحية العقل، وعدم احتياجها إلي الاستكمال؛ لأن الذي يقع له النسخ أو يحتاج الاستكمال هو الذي يقع له الخصوص لا العموم والختم.

الأمر الثاني: الاستدلال بالمنقول:

(أ) دلالة القرآن الكريم:

دلت آيات القرآن الكريم علي أن الرسالة المحمدية قائمة إلي يوم الساعة منها قوله تعالي: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[٣].

ويقف الفخر الرازي ملوحاً إلي جميع المخالفين في أمر ختم النبوة بسيدنا محمد، مبيناً أن الله تعالي لما نفي أن يكون الرسول أباً للمؤمنين أو لواحد منهم فقد عقبه بما يقطع

(١) – راجع الشيخ أبو الحسن الندوي، خاتم النبيين، ص٢٣.

(٢) – العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص٤٣٢ .

(٣) – سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

شبهات الآخرين، ويؤكد أن قوله تعالي: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾[1]، فيه دلالة أكبر من دلالة الأب لكل فرد من أفراد الأمة، ويجيء لتفسير الآية من جانب فيه نوع إبداع" وهو أن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفه"[2]، بل الأقوى فإن النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم والأب ليس كذلك، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم، بقوله تعالي: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[3]؛ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق علي أمته وأهدي لهم وأجدي إذ هو كالوالد الذي ليس له غيره من أحد[4].

وبهذا يكون الفخر الرازي قد صاغ حجته العقلية علي ناحية منطقية من يجادل فيها أو ينكرها يحكم علي نفسه بأنه فاقد الأهلية.

وكلمة خاتم من الناحية اللغوية لها دلالتها في أن محمداً (ﷺ) هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء الذي لا نبي بعده، يقول العلامة السمرقندي: "قوله تعالي: (وخاتم النبيين) هذا نص صريح في ختم النبوة به، وحجة قوية بعد ثبوت نبوته غير قابل للتأويل والتخصيص"، ولفظ النبيين وإن كان عامًا، والعام من حيث أنه عام يقبل التخصيص، لكنه قد يقترن به ما يخرجه عن هذه القابلية لأن لفظ الخاتم المضاف إلي طائفة لا يمكن إطلاقه إلا علي الأخير من

---

(١) – سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) – هذا التوجه للرازي فيه استعظام وتقوية للدليل فإن الأب يحمل الشفقة علي جميع أفراد أمته، من حيث أنه رحمة لهم، وهم في ذات الوقت يقابلون تلك الشفقة بالتعظيم له، وهو وجه جميل وتعليق بديع.

(٣) – سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٤) – الإمام الفخر الرازي "مفاتيح الغيب، مجلد ١٢، ج٢٤، ص٦٠٠، ط١، دار الغد العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

جميع تلك الطائفة[١].

وقوله تعالي: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٢].

كما أعلن القرآن الكريم أن سيدنا محمداً هو القدوة الدائمة والمستمرة في هداية الخلق إلي الخالق، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال تعالي: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣].

فدل الأمر علي أن هذه القدوة التي لرسول الله (ﷺ) مطلقة عامة في الزمان والمكان، وقد جاءت الآيات القرآنية علي هذا النحو الذي يجمع بين النقل والعقل.

(ب) دلالة السنة النبوية المطهرة:

وردت في السنة أحاديث دالة علي الختم، منها قوله ﷺ: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٤]، ومحل الشاهد قوله (ﷺ) وأنا خاتم النبيين.

وقد ذكر شيخ المحدثين في عصر الشيخ أنور شاه الكشميري قوله: "تواتر الأحاديث

---

(١) – العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص٤٣٢ .

(٢) – سورة الفتح الآية (٢٨) .

(٣) – سورة الأحزاب الآية (٢١) .

(٤) – الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج٤، باب (خاتم النبيين (ﷺ))، ص١٨٦، رقم الحديث (٣٥٣٥)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

في ختم النبوة نحو مائتي حديث"[١]، «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي»[٢].

وقوله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٣]، وقوله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"[٤].

(ج) دلالة الاجماع:

ومعناه أن النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة الدالة علي أن محمداً (ﷺ) خاتم النبيين قد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وسائر المسلمين في كل عصر علي ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)، وانقطاع النبوة بعده، وأن كل من يدعيها ما رق من الدين،

---

(١) - العلامة أنور شاه الكشميري، عقيدة الإسلام نقلاً عن الشيخ الندوي في كتابه النبوة والأنبياء، ص٢١٥.

(٢) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج٤، باب (في أسمائهﷺ)، ص١٨٢٨، رقم الحديث (٢٣٥٤).

(٣) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ج٤، باب (ما ذكر عن بني اسرائيل)، ص١٦٩رقم الحديث (٣٤٥٥).

(٤) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج١، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، ص٣٧١، رقم الحديث (٥٢٣).

متبع غير سبيل المؤمنين[1] .

وهذا الاجماع المنعقد من عصر النبوة مستمر إلي يوم القيامة، ونحن المسلمين نتمسك بختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) ونعتبرها عقيدة أساسية بالنسبة لنا، وبناءً عليه ستكون محاولتي فيما سيأتي هي بيان المصالح المرتبطة بختم النبوة واستمرارها، وبيان المفاسد بالنسبة لمن يحاول التخلص منها أو التخلي عنها، والله أسأل التوفيق والتسديد إنه نعم المولي ونعم النصير.

(١) - القاضي عياض الشفاء ج٢، ص٢٧٠، والشيخ الندوي، النبوة والأنبياء ص٢١٧، وخاتم النبيين ص٣٥.

الفصل الثاني
المصالح المرتبطة بختم النبوة

تناولت فيما سلف المحددات الثالثة، وأعني بها إثبات النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) وكونها عامة للإنس والجن، ثم كونها خاتمة في الزمان والمكان والأشخاص علي النواحي التي وفقني الله تعالي إليها.

بيد أنني في هذا الفصل سأتناول المصالح المرتبطة بالإنسانية علي وجه العموم فيما يتعلق باعتقاد ختم النبوة المباركة بسيدنا محمد (ﷺ) يستوي في ذلك ما يتعلق بالمصالح الفردية، والجماعية، والمجتمعية، والعالم بأسره حتى تقوم الساعة[1]، ومن أبرزها: -

الأول: كمال الدين:

ومعناه أن الدين الإلهي قد كمل مع عقيدة ختم النبوة، ولم يعد هناك مجال للإضافة إليه، أو الحذف منه، وبناءً عليه فلا يحتاج إلي دين يأتي بعده حتى يكمله وذلك راجع لأمور، جاءت كلها في قوله تعالي: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[2]، وهذا في حد ذاته كاف لبيان كمال العقيدة والتكاليف، وسلامة الأخلاق إلي غير ذلك من الوجوه التي نبه إليها العلماء في فهمهم للآية الكريمة.

الثاني: ثبات العقيدة الإلهية وسلامتها:

ومعناه أن المؤمن بالأصول الدينية، المعتقد في ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) إنما يعلن عن ثبات العقيدة في قلبه، وتطبيقها علي جوارحه، واستمرارها في هذا الدور علي ناحية صحيحة، أما لماذا؟ فلأن عقيدة ختم النبوة عامة عند المسلمين قائمة علي أصول دينية

---

(١) - هذا التركيز علي الجوانب قد يفيد من يتعجل الوصول إلي نتائج يترقبها، فإذا ما بدا له مطالعة تفاصيلها كان ذلك بغيته التي يلاقيها في ثنايا الفصل.

(٢) - سورة المائدة الآية (٣).

ثابتة... بما يؤكد أنها حقيقة عقلية ثابتة علي الزمن في كل عصر، وفي كل أمة، حتى ينتهي الوجود الإنساني علي الأرض[١].

وبناءً عليه فإن الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يقرر صدق إيمان المدعي، وصحة يقينه، وإقامة العقيدة في قلبه علي ناحية نقلية وعقلية، حينئذٍ يمكنه تقريرها من جهته، والدفاع عنها من طريقه، باعتبار أن كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية إنما هو مبلغ عن صاحب الرسالة، وقائم مقامه في التبليغ عنه (ﷺ) يدل عليه أن الرسول (ﷺ) قد جاءت الدلائل علي استخلاف كل أفراد الذين أجابوه وأمنوا به في الدفاع عن العقيدة والتمسك بها، ولا يصح ذلك إلا ممن كانت العقيدة في جزئيتها وموضوعاتها قائمة في عقله الواعي ووجدانه بجانب ما يترتب عليهما معًا.

لقد نبه الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ) إلي أن المؤمن بعقيدة ختم النبوة "عرف غايته ووفق إلي مقصودة، وهو طلب الخلاص من شرور الاعتقادات الفاسدة، والهرب من الآراء المجافية للحق المعاندة[٢].

ومن المؤكد أن كل مؤمن واع بالنبوة الخاتمة، وأن سيدنا محمد (ﷺ) هو الذي ختمت به، ومن تمسك بهذا كله علي وجه صحيح فقد أعلن عن صحة عقله، وسلامة وجدانه، ونقاء قلبه وبعده عن كل ما يخالف ما جاء من عند ربه.

بل إن الإمام أبا حامد الغزالي قد صرح أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة فيه الاستقرار

---

(١) - د/ عثمان عبد المنعم عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية دراسة لأصولها الدينية وأدلتها العقلية وشواهدها التاريخية، وإبطال لحركات التنبؤ بعد النبي قديمًا وحديثًا، ص١٢ مكتبة الأزهر، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(٢) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص٤٧، ضمن كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر بيروت.

القلبي والنفسي، وبين أن هذه النبوة الخاتمة هي التي يطمئن إليها القلب، ويتمتع بحصانتها العقل، "ومن شك في أن ذلك أمر إلهي، وتأييد رباني، فقد طبع الله علي قلبه"[١]، وهي الموازنة الواضحة بين أهل الإيمان ودعاة الخسران.

أجل إن عقيدة ختم النبوة والإيمان بها تعلي من مقام العبد في نفسه وعند غيره، أما لماذا؟ فلأنه متي صدق العبد بأن النبوة قد ختمت، استراح قلبه، واطمأنت نفسه، وهدأ وجدانه، من حيث أن جميع الخلائق من أهل الإيمان يشعرون باحتياج الخلق إلي الاعتقاد المستمر بأن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد (ﷺ)، أضف إلي ما سبق أن الخلق يحتاجون إليها، ولو أدركوا الأحكام بعقولهم لما كانت فائدة الرسول (ﷺ)، وإذا لم يكن في عقولهم استقلال بها أولاً فكذلك أخراً اتصلت بهم[٢].

وبهذا تكون عقيدة ختم النبوة مما يعين في تحصيل اليقين الشرعي الوارد من الله سبحانه وتعالي بطريق يقيني.

فإذا أدركنا أن الإيمان التحقيقي بأركانه جميعها يحقق للعبد الأنس بالله تعالي وحده تبين أن ثبات العقيدة في كل فرد من أفراد المجتمع يحقق التعاون والتواصل، ويعين علي بقاء المجتمع ونقائه.

لقد تواتر لدي أهل العلم ممن يعتد بشهاداتهم القول بأن سيدنا محمد (ﷺ): "رسول الله إلي الخلق أجمعين بالهدى ودين الحق خاتماً للنبيين"[٣]، فلا نبي بعده، ولا يقوم شرع بعد شرعه.

---

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص ٨٠ ضمن كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

(٢) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص ٩٠ .

(٣) - العلامة كمال الدين محمد بن محمد المعروف بان أبي شريف "المسامرة بشرح المسايرة، ص١٩٢ -١٩٣.

وبناءً عليه ظل وسيظل التحدي بالنبوة الخاتمة قائماً وهذا من شأنه التأكيد علي صحة العقيدة، ومتى كانت العقيدة في الله صحيحة قائمة علي يقين بما جاء من عند الله تعالي في كتابه الكريم، وصح عن رسول الله (ﷺ)، ولم يحدث خلل أو مغالاة فقد ثبت اليقين بصدق النبوة الخاتمة والنبي الخاتم والأمة الوسط الواردة الإشارة إليها في قوله تعالي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وبناءً عليه فإن ثبات تلك العقيدة في عقل المؤمن بها في قلبه ووجدانه لهو من الدلائل علي أن الذين اعتقدوا تلك المعتقدات هم الأصح عقولاً، والأسلم نفوساً والأيسر استدلالا، والأقوى علي ناحية العقيدة الإلهية، وتطبيقات ذلك في الواقع المعاش.

فإذا أضفنا إلي ما سلف أن الذي بلغ بتلك العقيدة هو سيدنا محمد (ﷺ) لم يعش أكثر مما قدره الله تعالي له في دار الدنيا، وقد أنزل عليه ربه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[2]، وهذه المسألة الاخبارية الواردة في كتاب الله تعالي، وعن رسول الله (ﷺ) منذ ما يقارب الألف والنصف عاماً ما تزال قوية فاعلة مؤثرة، لم يحدث لها تكذيب أبداً، وهذا من شأنه دعم قضية الإيمان في عقل المؤمنين بختم النبوة؛ لأنه لو حدث اضطراب ولو مرة واحدة، لما أخبر به رسول الله من كونه خاتم الأنبياء والمرسلين بل كان ذلك مدعاة للتشكيك في النبي (ﷺ) وختم النبوة معاً، فبان أن من المصالح للفرد والجماعة والمجتمع، بل العالم كله الاقرار بعقيدة ختم النبوة.

الثالث: تطبيق الأحكام الشرعية:

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) جاء فيها كل ما يتعلق بالأحكام

---

(١) - سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) - سورة الزمر الآيتان (٣٠-٣١).

الشرعية من ناحية أصولها التي لا يقع الاجتهاد بشأنها، الصلاة هي الصلاة والزكاة هي الزكاة، وكذلك الحال في الصوم والحج، وعليه سار المسلمون إلي يومنا هذا وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها[١]، ثبات في النصوص، وتكامل في الآداء.

من ثم فإن عقيدة ختم النبوة التي جاءت بها تلك الأحكام، ولم يحدث لها زيادة أو نقصان، تمنح الفرد الواعي ثقة واطمئناناً وأماناً بأن ما يقوم به هو الوارد عن الله تعالي، وبذا تتلاقي قواعد الإيمان مع أركان الإسلام، ويتلاقى الجانب النظري مع الجانب التطبيقي، ولا يكون ذلك إلا لمن اعتقد عقيدة ختم النبوة وتمسك بها، بحيث تشمل الأفراد والجماعات في كل مكان زمان.

لقد اعتبر الكثيرون أن هذه الأحكام التطبيقية هي من دلالة الصدق المحمدي علي صحة عقيدة الختم، يقول د/ عثمان عيش: "لقد كان هذا هو الدليل علي صحته عند النبي (ﷺ) قبل أن يكون عند المسلمين، فدليله علي صدقه في دعوته، وصدق الوحي الذي ينزل عليه وعصمته فيما يحفظه ويبلغه هو دليله علي أنه خاتم النبيين[٢].

فإذا أضفنا هذا الجانب التطبيقي وجدناه لا يقوم به سوي أصحاب عقيدة ختم النبوة، أما لماذا؟ فلأن الأحكام التطبيقية إنما هي مظهر علي صحة الإيمان القلبي، وما دام الأمر كذلك فسيستمر المؤمن بعقيدة ختم النبوة سائراً في ذات الطريق حتى يلقي الله تعالي وهو علي ذات العقيدة، حينئذٍ تصح عقيدته، وتسلم له أحكام شريعته.

---

(١) -. التكاليف الشرعية مصدر أصولها الكتاب والسنة، وهما المصدران الأساسيان، ثم يأتي بعدهما ما استنتج منهما كالإجماع والقياس، ثم الاستصلاح، أو الاستصحاب، ثم المصالح المرسلة. راجع للإمام الشاطبي الموافقات في أصول الشريعة، وكذلك كتابه الاعتصام، حيث فصل هذه المسائل وقرن بينها، وأدلتها من الكتاب والسنة .

(٢) – د/ عثمان عبد المنعم، عقيدة ختم النبوة ص١٦.

فإذا تبين أن من وظائف النبي تعريف الخلق بالخالق جل علاه وطرق عبادته وبيان الحكم والمصالح التي لا تحصي، فقد تبين أن استمرار العبد في أداء الأحكام والتكاليف إنما هو أثر من أثار الإيمان بعقيدة ختم النبوة الخاتمة.

لقد نبه الإمام السعد وغيره أن النبي الذي يرد عن الله تعالي له دلائل(١)، كما أن كل رسول صحيح سبق إنما يقدم للأمة التي بعث فيها ما يصل بهم إلي الهدي والرحمة إن هم أطاعوه، ويقرر الإمام السعد أن مما جاء به الأنبياء والتزمه أهل الإيمان به ونادي فيهم الرحمن جل شأنه هو "معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الباري وعلمه وقدرته، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل، ومنها استفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل"(٢).

ما من شك في أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يعطي المرء أمانًا وهو يقوم بأداء التكاليف العملية، فلا يلتفت إلي دعاوي المغرضين، كما لا يهتم باختلافات غير العارفين؛ لأن من صدق بحقيقة النبوة الخاتمة لم يتشكك أبداً في أن ما يقوم به من تكاليف يثاب عليها، ومن يتخلف عنها يعاقب بها من حيث إن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) حكم إلهي صحيح مترتب عليه صدق النبي وعصمته في التبليغ عن الله تعالي، وبذا يجمع بين الدليلين العقلي والنقلي

---

(١) – كل نبوة سلفت كانت خاصة، وبالتالي فدلائلها المرتبطة بها لابد أن تكون من جنس ما تمكن منه من يدعوهم، وقد صح ذلك عن الله تعالي جل شأنه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ . سورة إبراهيم الآية (٤)، ومحل الشاهد في الآية أن لسان قومه هو ما اعتادوه في علومهم وطبهم وغيرها، بجانب اللغة التي يتحاكمون إليها، وهو الذي فهمته من معني الآية الكريمة.

(٢) – الإمام السعد التفتازني "شرح المقاصد" ج٢، ص١٧٣، وقد ذكر الإمام كثيراً من تلك الفوائد والمصالح المرتبطة ببعثة الرسل واستمرار النبوة الخاتمة، بحيث لا يكون بينهما انقطاع أبداً.

علي أساس أن وسيلته التكاليف العملية.

الرابع: تحقيق السعادة في أعلي مراتبها:

أهل العلم علي أن السعادة ضربان، الأول هو السعادة الدنيوية، والثاني هو السعادة الأخروية[١]، وكل منهما نوعان إما مطلق، وإما مقيد إلي غيرهما باعتبارات متنوعة، ومن المؤكد أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة وتطبيق الأحكام العملية يحققان تحصيل السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة، وهو ما يعرف في المؤلفات الكلامية باسم تهذيب النفس[٢].

لقد أكد الإمام الغزالي علي ضرورة الاعتقاد بختم النبوة المحمدية واستمرارها؛ لأنها تحصل السعادة للمؤمن بجميع أنواعها ومظاهرها من خلال قاعدة عامة هي تهذيب النفس بما شرع الله[٣].

أضف إلي ما سبق أن تحصيل السعادة الدنيوية يكون بالتزام تعاليم النبوة والتمسك بعقيدة الخاتم، أما لماذا؟ فلأن الأمر إذا بعد عن التمسك بعقيدة ختم النبوة وقع صاحبه في الشقاق وسقط بين دركات الإلحاد حينئذٍ يشقي، وما ذلك إلا لأنه تخلي عن الأصل، واتبع أوهام الجنس، وغلب رغبته في السير خلف الشيطان، والبعد عن صحيح الإيمان.

لقد نبه أهل العلم إلي أن السعادة تأتي في القرب من الله تعالي، والقرب من الله يتحقق

---

(١) - المؤمن بالله تعالي الموقن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد يجمع بين سعادتي الدنيا والأخرى، يدل عليه ظاهر قوله تعالي: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سورة البقرة الآيتان (٢٠١-٢٠٢)

(٢) - الأصل لدي علماء الشريعة الإلهية من المتكلمين والأخلاقيين والصوفية وغيرهم أن تهذيب النفس يكون في جلب منفعة مشروعة، أو دفع مضرة عاجلة.

(٣) - راجع للإمام الغزالي معراج السالكين، ص٨٨، حيث يؤكد أن الرسل مبعوثون لتبيين ما يصلح للخلق، ويحقق السعادة مع اختلافهم في قرائحهم وغرائزهم ومقدار قبولهم وعقولهم.

بالتزام ما جاء من عنده جل علاه، فإذا سجد الساجد فإن سجوده لله لابد أن يكون فيه متابعاً ما جاء من عند الله مع خاتم رسل الله، وهذا غاية ما يسعي إليه المؤمن، وربما أشير إلي جانب مهم، وهو أن الساجد تحصل له لذة السجود لله سبحانه وتعالي، " كما أن "الساجد إذا أُذيق طعم السجود يقرب؛ لأنه يسجد، ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون، ويسجد علي طرف رداء العظمة فيقع له القرب"[(١)].

فإذا وقع هذا السجود من العبد للرب أخذه الله تعالي إلي مكان القرب ولسان حاله يقول رب اجعلني من عبادك المقربين، ولا يكون قريباً من ربه إلا إذا تحقق فيه معني قبول النبوة الخاتمة، وأن هذه النبوة قد بعث بها "النبي محمد الأمي القرشي إلي كافة العرب والعجم والجن والإنس، فنسخ بشرعه الشرائع وفضله الله علي سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر"[(٢)].

حينئذً يقف العبد علي باب القرب ممسكاً قلبه متمكناً منه حتى يكون في محل رضوان ربه، وهذا في حد ذاته مما تقع فيه عمليات تجليات الروح القدس النبوي الذي يختص الله به الأنبياء، وبعض الأولياء، ومن المؤكد أن فيه تتجلي لوائح الغيب وأحكام الآخرة، ولا يبعد أن تتجلي معه جملة معارف ملكوت السماوات والأرضيين مما لا تصل إليه قدرات الروح العقلي والفكري[(٣)]، بل لابد فيه من المدد الإلهي، والفتح الرباني.

---

(١) - الإمام الغزالي روضة الطالبين، ص١٢٤.

(٢) - الإمام الغزالي "قواعد العقائد في التوحيد"، ص١٦٣ .

(٣) - هذا الجانب نبه إليه الكثيرون من أهل العلم وامتلأت به مؤلفاتهم وصار ذلك من المعالم التي ينبهون عليها، ولعل ذلك الوصول إليه من فهمهم للإشارة الذكية في قوله صلى الله عليه وسلم، يقول: " قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا". الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، ج٤١، باب (عائشة بنت الصديقﷺ) ص٣٣٧، رقم الحديث =

وإليه الإشارة بقوله تعالي: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

لقد سعي المؤمن بعقيدة ختم النبوة إلي التماس السعادة من الكتاب والسنة فوصل بفضل الله تعالي إلي غايته، أما غيره فمن المؤكد أن "كل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرت النبوة فقد أخطأ الطريق ويكون عمله كالدينار البهرج، فيظن في نفسه أنه غني، وهو مفلس في القيامة[2]، والموازنة كاشفة أن الأول سعيد والثاني غير سعيد.

وما دام طلب السعادة اقترن بحضرة النبي محمد (ﷺ) فقد دل الأمر علي ضرورة استصحاب تلك النبوة واعتقاد استمرارها في نفسها، وختمها لكل ما سبق، ويمكن الإلماح إلي هذا بظاهر قوله تعالي: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3].

ثم إن تحصيل السعادة في القلب يحتاج المجاهدة، وتطهير الأخلاق المذمومة يحتاج المجاهدة وطرق الوصول إلي الصفاء يحتاج المجاهدة حتى تصير تلك المجاهدة عنوانًا علي أصحابها، وحيلة لهم في كل أحوالهم، ومرجع ذلك إلي ظاهر قوله تعالي: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[4].

=

(٢٤٨٤٢)، قال المحقق: الحديث ضعيف، ولا مانع عندي من تطبيق قاعدة المحدثين أنه يعمل به في فضائل الأعمال، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م

(١) - سورة الشورى الآية (٥٢)

(٢) - الإمام الغزالي "كيمياء السعادة" ص٤١٩.

(٣) - سورة ق الآية (٢٢).

(٤) - سورة المزمل الآية (٨).

وما دام تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة مرتبط بتهذيب النفس ومعرفتها حقيقة أمرها، فمن المؤكد أن ذلك لا يكون إلا من طريق الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)؛ لأنها مفتاح كل خير ومغلاق كل شر وطريق الوصول إلي رضوان الله رب العالمين.

وعن طريق عقيدة ختم النبوة أمكن معرفة ما يرضي الله فيشغل العبد به اشتغال الخادم لدي مولاه، وكلما اجتهد في طاعته، كلما قطع مسافة في الوصول إليه، يدل عليه ظاهر قوله جل شأنه في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"[(١)].

وإذا تمت مقابلة سعادة أهل القرب الذين تمكنت من قلوبهم عقيدة ختم النبوة بان أنها وسعادة الملائكة في طريق واحد، أما لماذا؟ فلأن سعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية، وليس للغضب والشهوة إليهم من طريق، يقول الإمام الغزالي: "إن كنت من جوهر الملائكة[(٢)]، فاجتهد في معرفة أصلك حتى تعرف الطريقة إلي الحضرة الإلهية، وتبلغ إلي مشاهدة الجلال والجمال، وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب، وتعلم أن هذه الصفات لأي شيء ركبت فيك، فما خلقها الله تعالي لتكون أسيرها لكن خلقها حتى تكون أسيرك، وتسخرها للسفر الذي قدامك، وتجعل أحداها مركبك، والأخرى سلاحًا حتي

(١) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج٨، باب (التواضع) ص١٠٥، رقم الحديث (٦٥٠٢).

(٢) - المقصود بجوهر الملائكة هنا الاستمرار في الطاعة، والبعد عن المعصية، والوقوف تحت أمر الله في كل ما يقضي به، ويأمر لأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

تصير بها سعادتك[١].

من غير شك أن طلب السعادة أمر ميسور، لكن تحصيلها يحتاج المجهود ومعرفة طريقها لابد فيه من نور النبوة الخاتمة، التي جعلها الله تعالي في عباده حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

صحيح أن طلب السعادة أمر فطري، وأن طريق الوصول إليه أمر معرفي، لكن التحقق بها يعتمد علي التوفيق الإلهي أولاً، وانفلات القلب بعيداً عن الشهوات الزائلة، والتمكن منه حتى يسير إلي الأصل الذي جاء منه إذ القاعدة أن كل ما تبصره بعين الظاهر، فهو من عالم الشهادة[٢].

وإذا كان تحصيل السعادة وتمكينها من القلب النوراني لابد فيه من دليل فما ذلك إلا عن طريق ختم النبوة، والتمسك بها، فاتباع المرسلين غاية عظمي، أما اتباع خاتم المرسلين فهو الطريقة الأعظم بعد العظمي[٣].

---

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "كيمياء السعادة" ص٢٢٠.

(٢) - خلق الله تعالي عالم الغيب وعالم الشهادة وغيرهما، وجاءت الإشارات في علمهما وغيرهما إلي الله تعالي، وتفضله جل شأنه بكشف بعض علمهما إلي من يختصه بتلك الصفة، وهو الخاتم المصطفي (ﷺ) قال تعالي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ . سورة الرعد الآية (٩)، وقال تعالي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ سورة الجن الآيات (٢٦-٢٨).

(٣) - الفرق بين اللذة العظمي واللذة الأعظم يشار إليه في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، يدل عليه ظاهر قوله ﷺ" إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، =

ما دام تحصيل السعادة قد عرفت أسبابه، وبانت طرائقه فمن المؤكد أن الأسباب والطرائق والمقدمات والنتائج مرتبطة كلها بعقيدة ختم النبوة.

ثم إن كل شرف إنما ينسب لصاحبه، وليس هناك " أشرف من الله سبحانه وتعالي؛ لأن شرف كل موجود به ومنه، وكل عجائب العالم أثار صنعته فلا معرفة أعظم من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته، وليس منظر أحسن من منظر حضرته، وكل لذات وشهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت، بل تكون لذته أكثر وضوؤه أكبر؛ لأنه خرج من الظلمة إلي الضوء[١].

وكل ذلك راجع إلي تحصيل السعادة التي مصدرها الله سبحانه وتعالي ودليلها عقيدة ختم النبوة المباركة وأسانيدها ما دلت عليه الدلائل الشرعية في الكتاب والسنة علي ما سلفت الإشارة إليه.

الخامس: حفظ السلم والسلام[٢]:

ومعناه أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يلزم صاحبه تطبيق ما ورد في نصوص تلك النبوة من غير اختصار أو اجتزاء من حيث أنها عامة في جميع أمة الدعوة، عامة في جميع أقطار الأرض، وبعبارة أخري عامة في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا من شأنه أن يحقق

=

ج١، باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة)، ص١٦٣، رقم الحديث (١٨١).

فإذا دخل أهل الجنة الجنة فهي المنزلة العظمي، وإذا تجلي عليهم ربهم ونظر إليهم فهي المنزلة الأعظم.

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "كيمياء السعادة" ص٢٦-٢٧.

(٢) - وردت مادة الكلمة (س. ل. م) في القرآن الكريم حوالي تسع وخمسين ومائة مرة. راجع الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف باب (السين) ص٤٣٦-٤٣٩، ط دار الحديث.

قاعدتي السلم والسلام[١].

لقد بان أن هذا الجانب يتكامل فيه نوعان أحدهما: السلم، والثاني السلام، فإذا أمكن التقاط كل منهما من مواضعه في الكتاب والسنة، وما ذهب إليه المتكلمون من أهل العقيدة بان أن مصدرهما هو الوارد في النبوة الخاتمة من ذلك.

(أ) السلم:

قال تعالي: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢]، فالمؤمن بعقيدة ختم النبوة يري التوجيه الرباني في الأمر بالسلم من حيث أنه يدعو للألفة والمحبة والتكاتف والتعمير، ويبعد تماماً عن وسائل التخريب والتدمير، وهذا البرهان قائم في حياة الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها[٣].

قال الفخر الرازي: "أعلم أنه لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بينّ بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا للسلم ومالوا إلي الصلح فالحكم قبول الصلح"[٤]، أما لماذا؟

فلأن الصلح إذا كان فيه مصلحة فهو أمر دعت إليه الشريعة، وإذا كان أمر تلك المصلحة قد جاء في ناحية المسلمين، فمن الأولي أن يتم ذلك، وهنا تصور رائع لما تنبئ عنه عقيدة ختم النبوة، من حيث تفويض الأمر إلي الله المشار إليه بقوله تعالي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى

---

(١) - كثير من الأنظمة السياسية تستخدم هذه المفردات لأغراض انعقدت في قلوبهم مسائلها فإذا جاء أمر تطبيقها لم يوجد لها رجع صدي، وإنما توجد لها اختلافات ومنازعات ومشاحنات تؤدي بهم إلي طريق الهلاك.

(٢) - سورة الأنفال الآية (٦١).

(٣) - محبة السلم من المسائل الفطرية لدي الكثيرين من ذوي الأخلاق السليمة، أما الذين يعيشون في اضطراب دائم فليسوا معدودين من ذوي الفطر السليمة والسلوكيات الحميدة.

(٤) - الإمام الفخر الرازي "مفاتيح الغيب، مجلد ٧، ج١٤، ص٥٢٦.

اللَّهِ﴾، فمنه العون والسداد، ومنه النصرة والوفاء، لقوله تعالي: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وفي الآية إشارة لما تتمتع به عقيدة ختم النبوة من أن أمر الإيمان مبني علي الظاهر، وما كان مبنيـًا علي الظاهر فإن أمر الباطن لا ينقده؛ لأن الظاهر مدرك لبني الإنسان، أما الباطن فلا يعلمه سوي الواحد الديان(٢).

والمؤمن بعقيدة ختم النبوة يري السلام ضرورة له، وأسرته، ومجتمعه، والعالم بأسره، بل قامت عصبة الأمم المتحدة وغيرها بالتأكيد علي مبدأ التعايش السلمي في معناه العام يضمن للفرد حقوقه، كما يلزمه القيام بواجباته، وهذا كله وارد في نصوص تنزلت علي قلب صاحب النبوة الخاتمة، وطبقها حال حياته (ﷺ) وجاءت تفاصيلها فيما أوحي إليه من ربه وتلفظ به الرسول الكريم وهو الحديث النبوي الشريف، وهو محفوظ بقوله تعالي: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٣)، وقوله ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»(٤).

---

(١) - سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٢) - اتفقت كلمة العلماء علي أن مما يترتب علي آية السلم هو رقابة قوة العدو، فإن كانت القوة فيهم لا مانع من المهادنة المدة التي تمكن المسلمين من الاستعداد الكامل وغلبة خصومهم، أما إذا كانت في جانب المسلمين فلا مانع من توثيق عقد يلتزمه الآخر تظهر فيه سماحة المسلمين، ومدي تمسكهم بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)، ولا ننسي أن الله تعالي قد وعد المسلمين بالنصر إذا نقض غيرهم عهدهم قبل تمام مدتهم لقوله تعالي: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾. سورة التوبة الآية (١٢).

(٣) - سورة النجم الآيتان (٣-٤).

(٤) - الشيخ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، "سنن أبي داود"، ج٤، باب (في لزوم السنة) ص٢٠٠، رقم الحديث (٤٦٠٤)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

إذا تحقق هذا علي أرض الواقع ارتفعت راية السلم، وتلاشت رايات الدمار، وتحقق لكل فرد الفرص المتكافئة التي تدل علي التزامه المعايير الإلهية وخضوعه لها.

(ب) السلام:

وهو يعني أن يقع تبادل بين أفراد المجتمع بحيث يأمن كل علي نفسه، وعقله وزوجه وماله وولده وتراعي لكل فرد ما يتعلق بمقصود الحق من الخلق، وهي الخمس المتكررة في المؤلفات الكلامية والفقهية والأصولية ثم الصوفية وغيرها، يقول الإمام الغزالي: " مقصود الشرع من الخلق خمسة، هي أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"[1]، وقد جاءت النصوص النقلية ناطقة بهذه الجوانب مقترنة بالسلم والسلام.

دل عليه ظاهر قوله تعالي: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[2]، ففي الآية حفظ النفس والمال.

وقوله تعالي: ﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[3]، في الآية اشارة إلي حفظ العقل والدين.

وقوله جل شأنه: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾[4]، فيها اشارة إلي حفظها جميعا.

---

(١) – الإمام أبو حامد الغزالي، المستصفى، ج١، ص١٤٠، ط القاهرة، ١٩٣٧م.

(٢) – سورة النساء الآية (٩٤).

(٣) – المائدة الآية (١٦).

(٤) – سورة مريم الآية (٣٣).

البادي من مادة الكلمة (السلام) أنها تحمل راحة النفس واطمئنان القلب وتهيئة الظروف، والتمهيد لعلاقات اجتماعية متوازنة، فالسلام يشمل سلام العقيدة وصحة العبادة، وسلام القلب والعقل وسلام الوجدان، ولا يكون ذلك إلا من خلال متابعة أحكام عقيدة ختم النبوة، أما لماذا؟ فلأن الآيات القرآنية نوعت في استخدام مادة الكلمة بحيث تضمن سلامة الفرد، يدل عليه قوله تعالي: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾[(١)]، والمعني أن من لم تعرفه وألقي إليك السلام فلا تتشكك فيه، ولا تحكم عليه بما يخالف ظاهره، وهو طريق متميز جاءت به عقيدة ختم النبوة حتى يتعامل الناس مع بعضهم بصورة طيبة ومتوازنة، فينزل كل منهما الآخر منزله الراقي[(٢)].

ثم جاء قوله تعالي: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[(٣)]، فقد دلت الآية الكريمة علي أن مبدأ السلام فطري، وعقلي، وطبيعي ومجتمعي، بدليل التعليم النبوي، فقل سلام عليكم تحظون به وتبقون معه وتتحقق لكم به النتائج المتعالية، وفي هذا تحقيق للسلام المجتمعي بعد السلام النفسي ولم يبلغ به ويطبقه إلا صاحب ختم النبوة.

ومنه قوله تعالي: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[(٤)]، والمعني أن نوحًا عليه السلام حينما هبطت به السفينة إلي

---

(١) - سورة النساء الآية (٩٤).

(٢) - حملت الآية الكريمة صورتين، الأولي لأصحاب العقيدة الصافية، والنفوس الهادئة، والثانية لغيرهم، وبينت أن أصحاب الأولي يتعالون بينما الثانية يساقطون.

(٣) - سورة الأنعام الآية (٥٤).

(٤) - سورة هود الآية (٤٨).

مرحلة الاستواء علي الجودي، فنبهه الله إلي قاعدة السلام القلبي والمعرفي، فإذا ذكر القرآن هذه الجوانب فقد دل علي أنها مما يجب التزامه طبقًا لما أشارت إليه نصوص عقيدة ختم النبوة.

ومنه قوله تعالي فيمن يقع بينهم النزاع أحدهم علي طريق صحيح، وثانيهما علي طريق فاسد، فإلي أيهما ينحاز التوجيه الإلهي، والجواب أنه انحاز إلي ما هو أعلي فإبراهيم عليه السلام يقول لوالده: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[1]، ليدل الأمر علي أن السلام قاعدة فطرية وطبيعية مجتمعية يستوي في ذلك من يتقبلها ومن يرفضها، فمن يتقبلها فهو الهدي، ومن رفضها فقد تعلق به ما تعلق.

لقد راعت النصوص المنزلة علي صاحب عقيدة ختم النبوة جانب السلام من الناحية التوظيفية، فإذا كان الداعي للسلام شخص يقع عليه شيء من الضغط أو التلويح باستخدام القوة فما عليه إلا أن يسحب وسيلة الشر من تحت قدمي صاحبها كالحال مع إبراهيم عليه السلام ووالده الذي هدده بقوله لولده: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[2]، فكان رده: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[3] وموسي عليه السلام حينما ذهب إلي فرعون لم يقل له سوي الدعوة الرائعة التي يتحقق بها الأمن والأمان، بل السلم والسلام أيضا، فقال " ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[4].

وعلي هذا النحو جاءت مادة الكلمة السلام في جوانب كثيرة، والمبلغ بها هو صاحب النبوة الخاتمة حتى يعتادها الناس في سلوكياتهم، وتكون عنوانًا علي توجهاتهم وطريقًا

---

(١) - سورة مريم الآية (٤٧).

(٢) - سورة مريم الآية (٤٦).

(٣) - سورة مريم الآية (٤٧).

(٤) - سورة طه الآية (٤٧).

ضابطاً إلي توقعاتهم.

السادس: كمال الأخلاق الإسلامية:

ومعناه أن المؤمن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يتمسك بالأخلاق الإسلامية التي تنتظم في مجموعات تتكامل فيما بينها، وقد جاءت في آيات الذكر الحكيم ونصوص السنة النبوية المطهرة المبلغ بها صاحب تلك النبوة الخاتمة ويمكن التماسها من خلال ما يلي: -

١) الارتفاع بالإنسان إلي المقام العالي:

ومعناه أن النصوص الواردة فيما يتعلق بالأخلاق السليمة أكدت أن سعادة الإنسان ترتبط في الحياة الدنيا ارتباطها بالآخرة، فمن شقي في الدنيا شقي في الآخرة، ومن سعد في الدنيا سعد في الآخرة، قال تعالي: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[١].

وحتى لا يقع الإنسان تحت قاعدة الأعمى في الدنيا الأعمى في الآخرة فقد بينت آيات القرآن الكريم طرائق الارتقاء حتى يتجاوز تلك الدرجة إلي ما هو أعلي حيث تتحقق السعادة المشار إليها بقوله تعالي: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾[٢].

ويعلق الدكتور/ دراز علي هذا الجانب مبيناً أن اختيار الآخرة السعيدة واختيار الآخرة التعيسة تتمثل فيهما سلطة الفرد وحريته من حيث بيان سلطة" المشرع الذي يأمر

---

(١) - سورة الإسراء الآية (٧٢).

(٢) - سورة هود الآية (١٠٨).

وهو شديد الحرص علي سلطته والفرد الذي يعمل وهو يدافع عن حريته....[١]، ولما كانت سلطة المشرع تبقي محترمة بقدر ما تحتفظ القواعد التي تسنها بمعناها كاملاً قوياً دون مساس، فإن تنوع الظروف لا يتدخل مطلقاً لتحديدها أو التخفيف من وطئتها، وفي هذه الحال يصبح القانون الأخلاقي مماثلا لأي قانون من قوانين الطبيعة يخضع له الفرد خضوعاً سلبياً ويطبقه تطبيقاً أعمي"[٢].

ولو أن الدكتور دراز رحمه الله ربط بين تحقيق هذا الجانب، وما يتعلق بالواقع المعاش من الناحية العملية فربما كان أيسر لدي الباحثين في مثل هذه النظريات الأخلاقية.

ثم إن الارتفاع بالإنسان للمقام العالي يجعل الفرد الواعي محافظاً علي تلك القيم الثابتة، بحيث يعلو بها وبما يتوافق مع عالمية هذا الدين "وإحكام أحكامه التي لا سبيل لنسخها، إذ لا رسالة بعد رسالة سيدنا محمد (ﷺ) "[٣]، وهذا من شأنه الإرتقاء إلي أعلي المراتب من الأخلاقية الإيجابية.

أجل إن ارتقاء الإنسان للمقام العالي هدف أخلاقي رائع يترتب عليه الانتظام في أخلاق متقنة تصلح لكل زمان ومكان، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الإيمان الكامل بعقيدة ختم

---

(١) - الواضح أن النظرة المتعجلة توحي بوجود إرادتين وسلطتين، بينهما صراع شديد، لكن المسألة فيما أري تختلف عن ذلك، فالله سبحانه وتعالي هو صاحب الملك والملكوت، والعبد هو المأمور بفعل المشروع، والمنهي عن غير المشروع، وهو الذي أعول عليه.

(٢) - د/ محمد عبد الله دراز "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" ص٩٧-٩٨، تعريب وتحقيق وتعليق د/ عبد الصبور شاهين، مراجعة د/ السيد محمد بدوي مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٣) - د/ سامي عامري "براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين" ص٤٩١، مركز تكوين، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

النبوة، وبخاصة أن الرسول (ﷺ) بين هذا بقوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١]، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا»[٢].

لقد شهد بكمال هذا الجانب في الرسالة الخاتمة العدو والصديق فقد نقل المستشرق هاملت جب قوله: " إن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلي الناس تشمل بناء دينيًا جديداً متميزاً"[٣].

أجل لقد بعث الحبيب المصطفي برسالته الخاتمة متممًا مكارم الأخلاق علمًا وعملاً، فجبر نقص النفس الإنسانية، ورفع سقف الجوانب الإيجابية، كما ألف بين الإنسان الواعي في نفسه وعلاقته بغيره، وفي ذات الوقت هذب خواطره ورفع أشواقه، ودعاه إلي تحسين صلته بالأرض والسماء، وهذا في حد ذاته مما يرفع الإنسان إلي الموقف العالي.

(٢) القدرة علي الترجيح:

---

(١) - الشيخ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله المعروف بالبزار مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، ج١٥، باب (مسند أبي حمزة أنس بن مالك) ص٣٦٤، رقم الحديث (٨٩٤٩)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى (٢٠٠٩م) .

قال الشيخ الألباني: حديث صحيح، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج١، ص١١٢ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) .

(٢) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم"ج٨، باب (حسن الخلق والسخاء) ص١٣، رقم الحديث (٦٠٣٥) .

(٣) - هاملت جب دراسات في حضارة الإسلام ص٢٥٤-٢٥٥، ترجمة إحسان عباس وآخرين، طبعة دار العلم للملايين، ١٩٦٤م.

ومعناه أن الله تعالي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وقام البناء الأخلاقي الإسلامي علي هذه القاعدة، وهي أن الإنسان خير في أصل خلقته (أحسن تقويم)، ومع ذلك فهو يملك القدرة علي الميل ناحية الخير أو الشر إذا شاء أحدهما، ولعل هذا المعني هو المراد بقوله تعالي: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(١).

وقد نبه الشيخ ابن عاشور رحمه الله إلي أن الآية الكريمة دلت علي قاعدة الترجيح من حيث إن الإنسان مخلوق علي حالة الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكاً مستقيماً مما يتأدي من المحسوسات الصادقة.

وغايته بالمحسوسات الصادقة الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك، ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبته التلقينات الضالة، والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار، أو تسلطت عليه تسلطاً ما استطاع دفاعها عنه بدلائل الحق، والصواب لجري ذلك في جميع شئونه علي الاستقامة(٢).

من المؤكد أن هذا الترجيح منحة إلهية تعبر عن المنظومة الأخلاقية، فإذا تغلب الإنسان علي عاداته الذميمة لم تصدر عنه إلا الأفعال الصالحة، وإذا استجاب لهواه سقط بين شهواته، وتغلب عليه دعاة الضلال عن طريق التخويف طوعاً أو كرهاً حتى ربما نسي الصواب والرشد وليته ما وقع فيهما، بل ليته التمس طريق الهدي وبلغ سبيل الرشاد؛ لأن الإنسان ليس معصوماً إذ العصمة لا تكون إلا لنبي، ومن عصمه الله تعالي بحفظه، ويملك قدرة التعالي فوق الشوائب بما أودع الله فيه من حب للخير، واستقباح للشر، قال تعالي:

---

(١) - سورة التين الآيات (٤-٦).

(٢) - الشيخ الطاهر ابن عاشور "تفسير التحرير والتنوير"، ج١ ص٤٢٥ ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1].

وفي ذات الوقت فإن هذا الإنسان يجد نفسه واحداً في إطار الوضع الإنساني الاختياري في دار الدنيا، حيث يمشي علي صراط مجانبة النفس الأمارة بالسوء، ووعد الله له بالجنة، قال تعالي: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2].

(٣) توحيد القبلة الربانية:

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة وهي ترسم الصورة الواضحة للأخلاق إنما تنحي توجه الفعل لغير الله، إذ كل ما يصدر عن الإنسان في الإسلام يجب أن يكون في إطار عقيدة التوحيد التي تجعل العبد ملكاً للرب، لا حول له ولا طول، وإنما يتجه إلي الله تعالي اتجاه العبد إلي سيده حتى تكون علي ناحية صحيحة في خدمته "فالإنسان يفعل الخير استجابة للأمر الرباني المساوق للفطرة الخيرية للنفس[3].

لقد فهم علماؤنا الأجلاء هذا الجانب ووظفوه توظيفاً مثالياً، فالإمام الغزالي مثلاً يجعل كل ما يقوم به الإنسان متجهاً إلي قبلة واحده هي الله تعالي، حيث يشعر العبد بأنس قلبه واستبشاره وفرحه ويعتبر أبو حامد ذلك معيار الإيمان، يقول الإمام الغزالي: "إن من أجل مواريث المحبة الأنس وحقيقته استبشار القلب وفرحه لمن كشف له من قرب الله تعالي وجماله وكماله"[4].

ثم إن توحيد القبلة مشار إليه بقوله تعالي: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

---

(١) – سورة الشمس الآيتان (٧-٨).

(٢) – سورة فصلت الآية (٤٦).

(٣) – الدكتور/ سامي عامري "براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين" ص٤٨٨.

(٤) – الإمام الغزالي روضة الطالبين، ص١٢٠.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾[1]، وهذا واضح في باب الدلالة إذ القبلة هنا راجعة إلي الاعتقاد الصحيح بالأساس وإلي الدعاء والصلاة علي سبيل التبع.

وبناءً عليه فإن القيم الأخلاقية للملتزم بعقيدة ختم النبوة توحي بضرورة أن يكون المرء في جميع أفعاله متجهاً إلي الله سبحانه وتعالي لا إلي غيره، فمن اتجه إلي غير الله وقع في الرياء والنفاق والاشراك، قال تعالي: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

(٤) التماس الواقع:

ومعناه أن الأخلاق الإسلامية في أصولها قائمة علي واقع الإنسان نفسه، فلا تفرض عليه ما هو أعلي من إمكانياته، كما فعلت النظريات الفلسفية الخيالية التي أنكرت وجود الضعف الإنساني مع أن الله تعالي نبه إلي هذا الضعف الإنساني في آيات منها قوله تعالي: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[3]، وفي ذات الوقت بعدت تلك الأخلاق الإسلامية عن البهيمية المتوحشة التي تجعل الإنسان أقسي من حيوانات الغابة، يفعل ما يشاء دون ضابط أو رقيب[4]، ومن المؤكد أن الوصف الأخلاقي إذا انطبق علي شيء ما ولم يصمد أمام المتماثلات فإنه لا يكون مقبولاً[5].

---

(١) – سورة الإنسان الآيات (٨-١٠).

(٢) – سورة آل عمران الآية (١٨٨).

(٣) – سورة النساء الآية (٢٨).

(٤) – النظريات التي تبنت حرية الإنسان في كل ما يفعل دون نظر إلي شيء آخر جعلته يغلب نظرية الحق علي نظرية الواجب فصار كل أنسان طبقاً لها يطالب بحقوقه ولا يؤدي شيئاً من واجباته، وارتبط به فساد المجتمعات.

(٥) – العبرة في الحكم علي قاعدة ما أخلاقية بصحتها أو عدمها هو صمودها أمام التجارب المتماثلة مع =

ويعبر د/ دراز عن هذا بقوله: "إن القاعدة التي يقوم عليها الوصف الأخلاقي إذا لم تصمد أمام ترجمة التماثل مع القانون الطبيعي عمومًا فإنها تصبح مستحيلة أخلاقيًا"(١).

أجل لقد نبهت آيات القرآن الكريم إلي هذا الجانب في آيات منها قوله تعالي: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢)، وبناءً عليه فالإنسان في أعلي مراحله إنما هو ذات تجمع بين نزعتي الخير والشر، ومن المؤكد أن في الروح والجسد معًا ميلاً إلي كل من السمو والسفل، والإنسان لا يتعالى بقمع شهوته، ولا يحقق كماله بالإذعان لها، وبناءً عليه فالأخلاق الإسلامية إنما هي ناتج العقيدة القائمة علي ختم النبوة بكل ما تعنيه الكلمة من مثالية مفهمة وأخلاق راقية.

(٥) تحقيق العدل:

المعلوم أن العدل أحد نظريات الأخلاق والقيم، وتحقيقه قائم في الشريعة الإلهية، ذلك أن علاقة الناس فيما بينهم ربما وقع فيها تجاوز فظهر ظالم ومظلوم، ولابد من قانون يرد الظالم عن مظلمته(٣)، ويحقق العدل بينهما في أعلي معانيه حتى يستريح المظلوم بوصول مظلمته إليه، ويعرف الظالم أنه سوف يرد عن غيه، من ثم فإن تحقق العدل أمر شرعي دعت

=

القانون الطبيعي العام، وهو القانون الذي يسمح بتقرير سلوكنا بصفة عامة .

(١) - د/ محمد عبد الله دراز "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" ص١٠٣.

(٢) - سورة المائدة الآية (٦) .

(٣) - عني علماء الكلام بهذا الجانب وأكدوا أنه من فوائد بعثة الرسل عند حديثهم عن كل من المعارضة في الصنايع والحرف، والمعاوضة في ناتجها . راجع للإمام الإيجي "المواقف أثناء حديثه عن فوائد بعثة الرسول، وكذلك الإمام السعد التفتازاني في كتابه شرح المقاصد أثناء حديثه عن فوائد بعثة الرسل.

إليه الفطرة وحثت عليه الشريعة الإلهية.

ثم اتسعت المسألة في أصول الأخلاق الإسلامية فسمحت بأمور متعددة منها العفو والإمهال، ومنها التصدق، وربما جمعت الآية الواحدة بين أكثر من واحد، وذلك لبيان أهميته، فمثلاً في الدين قال تعالي: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، فلم تلزم صاحب الدين أن يتعامل مع المدين بما فيه العسر فيشدد عليه وإنما جعلت نظرته لميسرة فيها ثواب له، ثم فتحت باب التصدق علي المدين طالما عجز عن السداد، ووقع في حرج ويعوض الله تعالي صاحب الدين بأعواض كثيرة.

ذهب الشيخ الألوسي إلي أن صاحب الدين إذا وجد المدين ذو عسرة أو كان غريماً أو وقع له إعسار لضيق حال علي أي نحو كان فإمهال أو تأخير بالمستحق إلي وقت وجود يسار، فإن المعدم لا يستطيع الوفاء، ومن ثم فإن التصدق علي المعسر من الغرباء برؤوس الأموال كلها أو بعضها أكثر ثواباً من الإنظار، ثم استدل بما هو ثابت من أن "النظرة واجبة، وخير الله تعالي الصدقة علي النظرة[2].

وبناءً عليه فإن التصدق الذي دلت عليه شريعة ختم النبوة لم يقف عند شيء بذاته، وإنما تمدد في جوانب الحياة كلها، فشمل الأموال والأنفس وغيرها، مما يؤكد أن تلك العقيدة لا مثيل لها، وأن الذين تنبأوا في ظلها عجزوا عن تقديم أنفسهم أو دفع الشبهات عنهم، فضلاً عن الخروج من مواطن الفساد، وتلك حكمة إلهية وسنة ربانية بتأييد أهل الإيمان وخذلان أهل العصيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) – سورة البقرة الآية (٢٨٠).

(٢) – العلامة الشيخ أبو الثناء محمود بن عبد الله الألوسي تفسير الألوسي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢، ص٦٧٧، ط١، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

وما دام الأصل الشرعي في كل قصاص هو أن تكون السيئة بمثلها إلا أن الأخلاق الإسلامية قرنت هذا الأصل بقاعدة أخري هي العفو والإصلاح، قال تعالي: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(١)

وهذا التخيير ليس ضداً للعدل؛ لأن الشريعة جعلته حقاً لصاحبه، وأعطته الفرص المتكررة للعفو والإمهال والتصدق، وذلك من دلائل الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي وردت بها تلك النصوص الشرعية.

(١) - سورة الشوري الآية (٤٠).

الفصل الثالث
مفاسد إنكار عقيدة ختم النبوة
بسيدنا محمد ﷺ

سلف الحديث عن فوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)، وذكرت حينها أن رسوله الله (ﷺ) قد ادعي أنه أرسل إلي الناس كافة، وجاء ذلك في قوله تعالي: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[١]، كما ادعي ﷺ أنه خاتم النبيين وآخر المرسلين، وهذه أيضًا جاء لها نصوص نقلية منها قوله تعالي: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[٢].

كما ادعا (ﷺ) أنه لا نبي بعده ولا رسول، وجاء ذلك في نصوص صحيحة قائمة في دلالتها علي هذا الختم منها قوله (ﷺ): «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٣].

وفي الحديث تعليل بختم النبوة، إذ كان اليهود يزعمون كما ذكر القرآن علي لسانهم أنهم ادعوا ختم النبوة بيوسف (عليه السلام) في قوله تعالي: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**﴾[٤]، فكان الرد علي هؤلاء وأمثالهم بالعقل والنقل.

---

(١) – سورة سبأ الآية (٢٨).

(٢) – سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٣) – الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" كتاب (أحاديث الأنبياء ما ذكر عن بني اسرائيل) ج٦، ص٤٩٥.

(٤) – سورة غافر الآية (٣٤).

وذكرت أيضًا من الأدلة العقلية أنه مع كثرة الأنبياء السابقين علي النبوة الخاتمة إلا أنه لم يدع واحد منهم أن النبوة قد ختمت به، وإنما قد بشر كل واحد منهم بنبي أو أنبياء يأتون معه أو من بعده إلا سيدنا محمد (ﷺ) فقد استقل هو بالإعلان عن ختمه بالنبوات والرسالات وأقام الأدلة علي ما ذكر.

في ذات الوقت جمعت رسالته الخواص التشريعية التي تستوعب كافة الخلق مهما امتدت الأزمنة، وذلك مما يدل علي أن الشرائع قد انتهت بشريعته، ووصلت برسالته (ﷺ) إلي الغاية التي تأكد للجميع أنه ليس بعدها شريعة ولا رسالة.

وذكرت ما يتعلق بفوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة بما يحقق الأمن والأمان للفرد والمجتمع متى روعيت جوانب الالتزام بتلك الشريعة الإلهية الخاتمة.

وهاأناذا أنتقل إلي الجانب الثاني، وأعني به المفاسد المترتبة علي إنكار عقيدة ختم النبوة.

ويبدو لكل دارس أن الذين أنكروا عقيدة ختم النبوة كانت غايتهم الطعن علي النبوة الخاتمة، من خلال دعاوي كاذبة، كما فعل اليهود وغيرهم فيما يتعلق بقضية النسخ[1].

في ذات الوقت فإن الذين أنكروا عقيدة ختم النبوة أنكروا حقائق ثابتة، ومعلوم من الدين بالضرورة، فترتب عليه من المفاسد ما يمكن الإلماح إليه فيما يلي، إن شاء الله تعالي.

---

(١) - النسخ الذي أقصده هنا هو نسخ الشريعة، نسخ النبوة لا نسخ الأحكام؛ لأن نسخ الأحكام في كل شريعة أمر دلت عليه الدلائل، كما أن نسخ بعض الأحكام في الشريعة الخاتمة أيضًا له قواعده الوارده في الكتاب والسنة، وهو بعيد كل البعد عن النسخ الديانة علي ما يزعمه منكرو نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وبعثته، وقد ذكر هذه الجوانب علي ناحية تفصيلية اكثر مفكري المسلمين وبخاصة علماء الكلام. راجع في ذلك لابن خمير السبتي مقدمات المراشد ص٤٢٥، وما بعدها وراجع لسعد الدين التفتازاني شرح المقاصد، ج٢، ص١٧٣ .

الأول: مصادمة الفطرة السليمة:

ومعناه أن الفطرة الإلهية جعلت الإنسان يدرج مع النبوة من أول أمره تحرسه النبوة الخاصة حتى إذا استوي أمره جاءت النبوة الخاتمة، بحيث تراعي تطور الوعي الديني عند الإنسان واكتماله والانتقال من طور الطفولة إلي طور البلوغ يقول الشيخ محمد عبده: "جاء القرآن فنهج بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال علي النبي محمد (ﷺ) بما عهد الاستدلال به علي النبوات السابقة، بل جعل الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه، ولا في مثل أقصر سورة منه"[(١)]، ومن ثم فإن الرسالة الخاتمة هي التي جمعت بين العقل والنقل، ويسرت أسباب الوصول إلي معرفة عالمي الغيب والشهادة بطريق آمن وأدلة صحيحة.

فإذا جاء من ينكر عقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) فإنما يصادم العقل، وينكر المعلوم من الدين بالضرورة، وقد نبه العلماء إلي أن "المعلوم من الدين بالضرورة هو القواطع من الأدلة التي لا سبيل إلي تحصيلها سوي من السمع نص الكتاب والسنة"[(٢)].

وبناءً عليه فمن أنكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ فإنما يصادم أحكام العقل الصحيح، وينكر حجية النص المقدس – القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة.

وقد نبه الإمام الفخر الرازي (٦٠٦ هـ) إلي أن المنكر لعقيدة ختم النبوة واقع في نطاق

---

(١) – الإمام محمد عبده رسالة التوحيد ص٢٤، تقديم وتحقيق طاهر الطناحي كتاب الهلال سلسلة ثقافية شهرية العدد (١٤٣) رمضان ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

(٢) – إمام الحرمين الجويني "البرهان في أصول الفقه، ج١، ص٧٨ تحقيق عبد العظيم محمود الديب دار الوفاء بالقاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

الكفر، وعرفه بأنه "إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به"[١].

ولما كان الإيمان التحقيقي هو الثابت في الفطرة، والكفر هو العارض لها فقد نبهت إليه النصوص النقلية، منها قوله تعالي: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، فدل الأمر علي أن منكر الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمدﷺ)) إنما يصادم الفطرة، ويسعي لخراب القلب النوراني والعقل المعرفي فيترتب عليه فساد أمري الدنيا والآخرة.

في ذات الوقت فإن من ينكر عقيدة ختم النبوة إنما ينكر الثابت، وإنكار الثابت يترتب عليه إهدار أحكام العقل الصحيحة؛ لأن العقل منحة إلهية، وهو حجة الله علي عباده، فمن أنكره فإنما يمثل هذا الانكار عدوانًا علي الدين والعقل معًا وتلك جناية يقوم بها أصحابها علي سبيل القصد.

وقد نبه العلماء إلي أن السير في هذا الاتجاه يمثل جريمة شرعية وجريمة مجتمعية، أما لماذا؟ فلأن إنكار تلك القواطع من أحكام العقل والنقل وما يشترك في معرفته الخاص والعام يكون قد انتهك تلك الحرمات كلها، من حيث أنها جميعًا داخلة في نطاق المعلوم من الدين بالضرورة، الذي لا يصح فيه العبث، وإنما الذي يصح فيه هو التمسك بالنصوص الشرعية، والسعي إلي تطبيقها في العقل الواعي والسلوكيات العملية.

قد نبه الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) إلي أن هذه المصادمة تمثل الاعتراض والاغترار بالفطنة والبعد عن الاجتهاد[٣]، وبخاصة أنه رأى من هؤلاء ما رأى فهم

---

(١) - الفخر الرازي "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين " ص٢٠٤ وبذيله تلخيص المحصل للطوسي طبعة مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

(٢) - سورة الروم الآية (٣٠).

(٣) - راجع للإمام أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية، ص١٠١، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي مؤسسة =

أصحاب الأفكار السلبية، وليس بلازم أن يكون ما رآه خاصاً في جماعة بذاتها، أما لماذا؟ فلأن من زعم أنه من أصحاب النفوس الذكية المرتاضة المستفيضة عن الرياضات بالعبادات الشرعية فأهملوها، وبالتالي فقد أنكروا الإيمان بعقيدة ختم النبوة، ورأي الإمام الغزالي أنهم قد خرجوا من الإيمان إلي غيره.

وإذا كان المنكرون لعقيدة ختم النبوة قد وقعوا في الكفر، وصادموا الفطرة الإنسانية فماذا ينتظر منهم؟ لقد نبه الإمام القشيري إلي خطر هؤلاء من حيث الابتداع الذي يقومون به "ويقع لهم به الابتعاد عن الشرع ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر"(١).

وإذا تتبعنا أثر هذا الانفلات عن القواعد العامة، والخروج عن المعلوم من الدين بالضرورة، وهو ترك الاعتقاد بختم النبوة تبين أن هؤلاء قد خرجوا عن القواطع كلها كما سلفت الاشارة إليه، وصادموا ما جاء من عند الله.

لقد ذهب العلامة السعد إلي "أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة هو من المعلوم من الدين بالضرورة من حيث أنه تصديق النبي فيما علم مجيئه ضرورة(٢).

غير خاف أن الاقرار بعقيدة ختم النبوة يتفق مع صحيح العقل والنقل، أما إنكارها فإنه يصادم العقل والنقل، ويجعل صاحبه في تيه من أمره، فلا يستطيع الخروج منه، ويكون لديه استعداد لتقبل أي مرض نفسي ومجتمعي، وقد نبه أجلة العلماء إلي أن منكر عقيدة ختم النبوة إنما ينكر معلوماً ضرورياً، وبالتالي ينكر الإجماع الكلي، يقول د/ المسير: "إن إنكار

=

دار الكتب الثقافية بالكويت.

(١) - الإمام القشيري لطائف الإشارات ج١، ص٥٨٠ تحقيق إبراهيم بسنوي، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) - الإمام السعد، شرح المقاصد، ج٢، ص٢٦٧ .

ختم النبوة ليس مجرد نفي للإجماع، بل هو سيؤدي حتماً إلي إنكار ما علم من الدين بالضرورة، وهدم حقائق الإسلام بأجمعها... ثم ينتهي إلي القول بأن: "إنكار ختم النبوة كفر صراح، والقائلون باستمرار النبوة بعد سيدنا محمد (ﷺ) مرتدون عن الإسلام"[١].

لقد نبه الإمام محمد عبده إلي أن الذي يجب علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوي أركانه، وما وراء ذلك فنزغات شياطين، وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد علي كل بعمله، قاض عليه في صوابه وخطله[٢].

أخلص مما سلف إلي ضرورة التركيز علي أن من ينكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يتردي في المهالك ويسقط بين شهوات النفس الأمارة بالسوء، وما أتعس من يقع في هذا الجانب.

أضف إلي ما سبق أن شهادة التاريخ الإنساني العام ما تزال قائمة في "إعلان النبي محمد ﷺ أنه خاتم الأنبياء، ولم يسمع أحد رغم طول الحقبة بنبوة واحدة من تلك النبوات التي استعلن بها أصحابها بعده ﷺ"[٣]، لم يصح أمرها، ولا سلم شأنها، بل أصابت المجتمع في عقيدته وسلوكه من حيث إنها نبوات كاذبة.

الثاني: شيوع الإلحاد:

ومعناه أن إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ يزيد من مساحة الإلحاد فيزداد عدد الخارجين عن شرع الله، وذلك من شأنه إلحاق الاضرار النفسية، والأخلاقية

---

(١) - الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير، "النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها، ص٢٦٥-٢٦٦ ط دار الاعتصام بالقاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) - الإمام محمد عبده رسالة التوحيد ص٤٢.

(٣) - الدكتور / عثمان عبد المنعم عيش عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، ص٢٧ .

والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها بالمجتمع كله، أما لماذا؟

فلأن التدين "عند الإنسان له بواعث أصيلة متمكنة في الحياة الإنسانية لا تخلو منها نفس إنسان أبداً، ولا تتعري منها حياة مجتمع في أي جيل من أجيال البشرية، وفي أي حال من أحوالها"(١).

فإذا لجأ الفرد إلي مخالفة ذلك الثابت فإنما يحاد الله ورسوله ويعلن التمرد علي ما جاء من عند الله، وفي ذات الوقت يسعي إلي الانحراف بالفطرة الداعية إلي الدين الصحيح، يقول د/ يحي هاشم فرغل "من تورط في الانحراف دعا إلي ديانة جديدة زائفة هي ديانة الإلحاد(٢)، ومآل أصحابها إلي الهلاك.

وإذا كان الالحاد يتمثل في السلوك الغير سوي، فمن المؤكد أن الملحد لا يكون بعيداً عن طلب الحكم عليه بما يمارسه، وقد نبه إلي هذا الشيخ عبد الخالق حيث ذكر أن الإلحاد هو "الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار مع تكريس الحياة كلها للدنيا فقط"(٣).

غير خاف أن الالحاد يمثل جريمة عقلية وشرعية وأخلاقية، فإذا اجتمعت هذه كلها تبين أن أصحابها قد ساروا مع شياطينهم متمسكين بهم لا يخرجون عنهم وينطبق فيهم قول الله: ﴿**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ**

---

(١) - أ/ عبد الكريم الخطيب "قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، الله ذاتاً وموضوعاً"، ص٢٤-٢٥.

(٢) - د/ يحي هاشم فرغل "الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية" ص٣٢٩-٣٠، بتصرف يسير مطبوعات جامعة الامارات ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) - الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، "الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها" ص٦، ط دار البحوث العلمية والافتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية ط٢، ١٤٠٤هـ.

﴿الْعَالَمِينَ﴾[1].

ثم إن محاولة التخلص من الدين الإلهي والوقوف عند الظنون يثيران جدلاً واسعًا عن مصدرهما والمترتب عليهما، فإذا كان هوي النفس هو الذي يقود صاحبه إلي التخلي عن عقيدة ختم النبوة، ويلقيه في أتون الضلال، فإن القرآن الكريم قد نبه إليه وحذر منه، وقدم صوره لعلاجه قال تعالي: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

وإذا كان الهوي هو الذي يقود صاحبه إلي التخلي عن عقيدة ختم النبوة، فقد بان أنه "مجرد ميلان النفس إلي ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"[3]، وهو غاية ما يرجوه الشيطان.

ومن المؤكد أن مقاصد الشريعة قد ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالتوحيد الخالص والاعتقاد بالغيب الوارد عن الله تعالي، والبعد عن التصديق بهذا الوارد عن الله يكشف فساد أصحابه، ويجب أن يكون وضعهم في ذات الاطار وأعني به التخلص منهم والابتعاد عنهم، وقد نبه إلي ذلك الامام الشاطبي حيث وصفهم بأنهم "استحكمت فيهم أهواؤهم فلم يبالوا بشيء، ولم يبعدوا خلاف أنظارهم شيئًا، ولا راجعوا عقولهم مراجعة من يتهم نفسه، أو يتوقع في موارد الاشكال، وهو شأن المعتبرين من أهل العقول، أما هؤلاء فهم صنف من أصناف من اتبع هواه ولم يعبأ بعزل العازل فيه، ولكنهم مع تصنيفهم يجتمعون في أشراب الهوي في قلوبهم

---

(١) – سورة الحشر الآية (١٦).

(٢) – سورة الحشر الآيتان (٤٣-٤٤).

(٣) – الإمام الجرجاني "التعريفات" جرف الهاء، ص٢٥٧.

حتى لا يبالوا بغير ما هم عليه[١].

من المؤكد أأن الذين وقعوا في الإلحاد قد ساروا خلف أهوائهم وانتزعوا ما يريدون لا بقوة الحجة، وإنما بالجدل المذموم قيامه علي الهوي الفاسد، وقد نبه الدكتور محمد عبد الله دراز إلي أن الهوي مذموم كله، إلا أنه " ليس في الذم علي مرتبة واحدة ...[٢]، فأشنعه الهوي المخرج عن الملة، وما أدي بصاحبه إلي رد حكم الشرع عناداً، وتحكيم الطبع الفاسد بحثاً وانفرادا"[٣].

ثم استدل علي ما ذهب إليه بآيات منها قوله تعالي قوله تعالي: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[٤].

ولا يخفي أن سياقات القرآن الكريم جاء فيها الهوي المذموم مقيداً بوصف ثابت له وهو (بغير هدي) ليخرج من اتبع هواه موافقاً لما جاء من عند الله، فذلك لا ضرر عليه من هواه؛ لأن هواه يساعده علي فعل الخير المشروع ويبعده عن الفاسد، ومن مظاهر ذلك قوله

---

(١) - الإمام أبو إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي "الاعتصام" ج٣، ص٣١٩-٣٢٠، ضبطه وقدم وعلق عليه أبو عبده مشهور بن حسن آل سلمان الدار الأثرية ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

(٢) - أراد الشيخ التأكيد علي أن كل الهوي مذموم، لكنه مراتب أدناه ما يوصل إلي الإلحاد، وأعلاه ما يعلن به صاحبه الإلحاد سواء أكان معه أمثاله وأشباهه، أم كان رأساً بذاته، ويمكن مراجعة ما كتبه الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين" حول ذم الهوي وما يترتب عليه ففيه تفصيل مفيد.

(٣) - د/ محمد عبد الله دراز "الميزان بين السنة والبدعة" ص٦٩، مؤسسة أقرأ مكتبة الفنون والآداب القاهرة بدون تاريخ .

(٤) - سورة الجاثية الآية (٢٣) .

تعالي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

من المؤكد أن الإلحاد ليس ظاهرة مجتمعية، وإنما هو ظاهرة نفسية قيامها علي ما يدور في الفرد ذاته، من حيث أنه فرد يقبل ما جاء من عند الله، أو يرفض، فإن قبل صار مؤمناً، وإن رفض صار ملحداً.

وقد نبه ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) إلي أن الهوي ميل الطبع إلي ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه[2]، فإنه لولا ميله إلي المطعم ما أكل، وإلي المشرب ما شرب، وإلي المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوي مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا يصلح ذم الهوي علي الاطلاق وإنما يذم المفرط، وهو ما يزيد علي جلب المصالح ودفع المضار، ولما كان الغالب من موافق الهوي أنه لا يقف منه علي حد المنتفع أطلق ذم الهوي والشهوات لعموم غلبة الضرر؛ لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوي في النفس وإذا فهم تعذر وجود العمل به ونذر"[3].

أخلص مما سلف إلي أن إنكار الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يترتب عليها الالحاد في كل صوره ومظاهره، وأعني به الالحاد الديني، والالحاد الثقافي والالحاد الفكري، والالحاد المجتمعي، حينئذً تتحول الحياة كلها إلي واقع لا يرتضيه الله فيعم السخط علي الجميع؛ لأن سنة الله في خلقه قد جرت بأن الساعة لا تقوم إلا علي شرار

---

(١) - سورة القصص الآية (٥٠).

(٢) - الشيخ هنا يتحدث عن الهوي الطبيعي الذي تتحقق به المصالح المشروعة، فإذا خرج عنها إلي غيرها فإنه ينال اسم الهوي لا حقيقته، وبالتالي التمييز بين الهوي الموقع في الالحاد وبين الهوي الذي تستجلب به المصالح الشرعية مسألة ضرورية.

(٣) - أبو الفرج ابن الجوزي ذم الهوي، ص٣٥ تحقيق خالد عبد اللطيف السبع، دار الكتاب العربي بيروت ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الخلق.

ولا مكان للإلحاد في المجتمع المسلم الذي يتمسك أفراده بقواعد الإيمان، وجوانب الإسلام والقيم الأخلاقية الراقية، من حيث أن ذلك هو الذي جاء من عنده جل شأنه وما يخالفه لا يصح الالتفات إليه.

الثالث: تمكين ذوي القصور العقلي من إدعاء النبوة:

ومعناه أن القائلين باستمرار النبوة، وأنها فتحت بعد الرسول (ﷺ) زاعمين أنها ختم بهم وحدهم[(١)]، وهذا من شأنه تمكين ذوي القصور العقلي من ادعاء النبوة، وهم في كل ما فعلوا كذبوا، أما لماذا؟ فلأن سيدنا محمد خاتم الأنبياء وهي حقيقة عقلية يستدل عليها العقل الصحيح بصدق النبي في دعوته وعصمته في كل ما يبلغه عن الله تعالي....[(٢)].

وهي حقيقة واقعية نطقت بها الوقائع الثابتة في تاريخ النبوات السابقة في تتابع بعضها وراء بعض، وحقيقة موضوعية تبدو في حياة النبي تاريخاً باقياً، وفي القرآن كتاباً محفوظاً، وفي الإسلام ديناً عاماً وشريعة كاملة...[(٣)].

---

(١) – ممن زعم أن باب النبوة كان مفتوحاً بعد النبي (ﷺ) وأنهم الذين ختمت بهم النبوة إلي حين وإلي الأبد علي نحو ما قال الشيرازي (الباب) أو علي نحو ما افتراه حسين علي المازندراني (البهاء) . د/ طه الدسوقي حبيشي الدمياطي، النبوة والتنبؤ قراءة جديدة في مسائل العقيدة، ص٣٧٨، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

(٢) – هذه الحقيقة العقلية سبقت الإشارة إليها أثناء الحديث عن فوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة، وطرائق الوصول إلي أدلتها .

(٣) – هذه الحقيقة الثابتة تؤكد أن سيدنا محمداً (ﷺ) هو الذي ختم الله به النبوات وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وقد أفاض في بيان تلك الجوانب أجلة العلماء من رجال العقيدة وغيرهم . راجع الإمام السيوطي كتابه الخصائص النبوية الكبرى.

ثم هي حقيقة تاريخية يشهد لها التاريخ وتزيد شهادته قوة كلما تطاولت عليها الأحقاب دون أن تصح فيها نبوة واحدة تنقضها وأية حقيقة أصدق من تلك التي يدل عليها العقل، وينطق بها الواقع، ويشهد لها التاريخ"[١].

غير أن بعض ذوي العقول التي يحيط بها القصور، وعرفوا في تاريخ الفكر الإنساني باسم أدعياء النبوة، كما عرفوا باسم المتنبئة، ومنهم في الماضي مسيلمة الكذاب، وفي القرن المنصرم محمد علي الباب، وحسين المازندراني، وغيرهم، أولئك الذين ثبت أنهم كانوا يعانون من القصور العقلي، وأنهم قد دفع بهم للطعن علي النبوة الخاتمة بادعاء أنفسهم أنبياء.

وإذا كان الفكر الإنساني قد حمل في بعض جوانبه دعاوي هؤلاء علي قضية الرجعة لدي الشيعة الذين يذكرون " أن الذي تذهب إليه الامامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالي يعيد قوماً من الأموات إلي الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز قوماً ويذل فريقاً آخر، وذلك عند قيام مهدي آل محمد"[٢].

فإن القول بالرجعة ربما انصب علي فكرة لديهم لم تقم أدلة صحيحة بشأنها، ومع هذا فإن الذين ادعوا النبوة، وانتشروا مع ظاهرة التنبؤ بان أنهم كانوا جميعاً يعانون أمراضاً عقلية، واضطرابات نفسية، وخللاً فيما يتعلق بالجوانب الإيجابية، ومثلهم لا يمكن أن يكون شخصاً سوياً بحيث يتم التعامل معه فيما يقول أو يقص، بدليل أن محمد علي الشيرازي المولود (١٨١٩م) كان يعاني من اضطرابات عقلية وظروف نفسية، وقد ظل أمره هكذا حتى

(١) – د/ عثمان عبد المنعم عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص٢٩ .

(٢) – محمد رضي المظفر، عقائد الإمامية، ص٦٧، ط١، ١٣٧٣، النجف الأشرف بالعراق.

وصف بالجنون بغية الهرب من تحمل مسئولية ما تحدث به أو أعلنه[١].

وما دام الباب قد عاني في مطلع شبابه من تزاحم أفكار الحادية في رأسه ولم يتمكن من البعد عنها، فقد عزم من يحيطون به علي تفسير هذا بأنه دعوي لنبوة جديدة، وقد ساهم في ذلك ما ذكره مرتضي العسكري "إن الأفعال الخارقة من خصوصيات الله، فإذا أمكن لواحد من الناس القيام بها فلا شك أن الله قد اتحد به وحل فيه"[٢].

لقد فكر المحيطون بالباب انطاقه "بأن الله قد اتحد به وحل فيه، حتى صار جسد الباب هو المظهر الطبيعي للرب، بل قال عن نفسه أنه خالق الحق، إلي غير ذلك من الخرافات والأوهام التي صنعها خياله المريض، ثم أعلن عنها ودعا اتباعه إلي القول بها ضمن معتقداته الفاسدة وتشريعاته الشاذة، بجانب خياله المريض وغروره الشخصي[٣].

وإذا نظرنا إلي أن القول يفتح عقيدة النبوة واستمرارها لا ختمها بسيدنا محمدﷺ قد أدي إلي ظهور الباب وأمثاله أفلا يدل ذلك علي أن التمسك بها يتنافى مع تعاليم الإسلام ويعبر في ذات الوقت عن حالات مرضية يجب أن يلقي أصحابها عناية صحيحة أو يحبسوا عن الحركة حتى لا تزداد أثارهم السلبية.

وإذا كان الباب كما ذكرت عاني من الاضطرابات النفسية والعقلية وأنكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) أفلا يدل ذلك علي أن فتح الباب قد أثر سلباً علي حياة المسلمين

---

(١) - راجع للشيخ مصطفي محمد الحديدي الطير، "البابية والبهائية في الميزان" ص٦٥، ، أ/ يحي محمود اليوزرجي، الباب، وحسين الداهية ص٥٧، د/ محمد إبراهيم الجيوشي، "البابية والبهائية" القسم الأول، ص٦٣، محب الدين الخطيب "البهائية" ص١١١ .

(٢) - السيد مرتضي العسكري عبد الله ابن سبأ وأساطير أخري منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ص٩٧، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٧٢م.

(٣) - الشيخ مصطفي محمد الحديدي الطير، البابية والبهائية، ص٧٦.

وسلوكياتهم ومعتقداتهم، وإذا كان الأمر كذلك فماذا يكون موقف الباب ومن يحيطون به، لقد أعلن هو ومن معه الطعن علي دين الإسلام حسب المخطط الذي رسمه له أعداء الإسلام، وأنه سلك طريقاً تم رسمه له حين زعم أن رسول الله (ﷺ) قد أرسل إلي الناس في التاريخ الذي بعث فيه واستمر حتى عام١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م موعد مجيء الباب[١].

بل إن ما نقل عن الشيرازي يؤكد وقوعه في الحالات المرضية المتنوعة واعتباره عميلاً وعيناً لأعداء الإسلام، وهدفه القضاء علي الاسلام تحت ستار استمرار فتح عقيدة النبوة، وقد حاولوا التوصل إليها من خلال تأويلاتهم الفاسدة، وإنكار الأخرة إلي غير ذلك مما تناوله العلماء بالبحث والدرس[٢]، ومن ثم فإن القراءة المتأنية لما ذكره هذا وأمثاله كان بالإمكان قطعها لو سارت عقيدة ختم النبوة برسول الله (ﷺ) المسار الذي اختاره الله لها.

أما الشخصية الثانية ممن استغلوا هذا الهوس الذي يطالب بفتح النبوة وينكر ختمها بسيدنا محمد (ﷺ) فقد جاء الكثيرون من ذوي القصور العقلي، ومن أشهرهم عباس المدعو بالميرزا يزدك المازندراني النوري[٣]، حيث ولد المازندراني في قرية نور احدي ضواحي

---

(١) – راجع الشيخ محمد نصر الله الجميل، دراسات حول النحل الباطلة، ص١٨٣، ط٢ مكتبة العربي ١٩٥١م .

(٢) – من يراجع ما نقل عن الباب فيما يتعلق بالعقيدة والتكاليف، بجانب القبلة والموقف من النساء يجد أن الرجل لا يصح أن يكون عاقلاً، وإنما الصواب أن يكون له عقل يستوجب الاسترحام الوارد في الاشارة النبوية المباركة "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق". قال الألباني: حديث صحيح. الإمام ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، "سنن ابن ماجه" ج١، ص٦٥٨، رقم الحديث (٢٠٤١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) – راجع د/ فوزي محمود الجمل الاتجاهات الفكرية الحديثة، ص٤٧، ط مكتبة القاهرة، ١٩٩٨م.

مازندران في (١٢ نوفمبرسنة١٨١٧م)[١]، ونشأ في ظروف لم تكن أحسن من سابقه لأن نشأته تحمل الكثير من الغرابة وتدعو للقلق، واضطر أبوه إلي الاستدانة وتحملت الأسرة عبء الدين وهي عاجزة عن سداده[٢].

لقد أصيب المازندراني باضطراب نفسي وعقلي، ومن ثم ظهرت له خرافات منها ادعاؤه الولاية المطلقة، وزعمه النبوة الخاصة، ثم قفز منها إلي النبوة العامة، وأخيراً ادعي الربوبية والألوهية[٣].

لقد فاض الكيل به فزعم أنه أوحي إليه بكتب عن طريق ما يمكن تسميته بالطاق وأنه أنزل عليه الأقدس والهيكل، ثم الايقان والعهدة، وانتقلت هذه عنه الطعن في عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) واستمر المازندراني في هوسه هذا وقدم عبارات لا يمكن أن تصدر عن ذي عقل، ومنها ما زعمه تحت باب فيض الله لا ينقطع[٤].

وكانت غايته من ذلك التأكيد علي أن النبوة لم تنقطع، وإنما هي مستمرة وتأول الآية الكريمة في قوله تعالي: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[٥]، وهو التأويل الفاسد الذي يدل علي حالات مرضية عاني أثارها هؤلاء، وبناءً عليه يكون القول بفتح عقيدة النبوة اتجاهاً يهودي الأصل قام به من يحملون أسماء إسلامية، ثم خرقوا كل قواعد العقيدة وجوانب الشريعة، وابتعدوا

---

(١) - راجع أ/ علي عبد الحليم نصر الله، البهائية دراسة تحليلية، ص٤٧-٤٨ ط كركوك.

(٢) - راجع د/ فوزي محمود العزب الفكر المنحرف المشكلة والعلاج"، ص٣٧، ولإحسان إلهي ظهير، البهائية عرض ونقد.

(٣) - راجع د/ محمد مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، ص٣٥٦.

(٤) - راجع د/ عبد العظيم رمضان، الاتجاهات الفكرية الحديثة ص٢٢٥، أ حسن محمد الطويل الفكر المنحرف، ص١٥٧، أ/ إحسان إلهي ظهير" البهائية نقد وتحليل"، ص٣١٣.

(٥) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

عن كل ما جاء من عند الله، والذي مكن لهم ذلك هو أنهم من ذوي القصور العقلي، ومن أبرز مظاهر ذلك قوله: "إن ختم النبوة بمحمد من قبيل البلاء والمحن الإلهية التي ابتلي بها الأنام في هذه الأيام"(١).

إذا انتقلنا من هذا الأثر المترتب في المجتمع المسلم وجدنا ما يلي:

(أ) التمرد علي الشرع الإلهي حيث فتح هؤلاء الباب أمام مدعي النبوة مستغلين التأويل الفاسد، والإرهاب والدعوة إلي العنف، وتبديد جهود الحكومات الإسلامية التي تسعي لجمع الشتات، وتقوية الأعمدة بحيث "يتمكن المجتمع الإسلامي من مقاومة أعداء الإسلام"(٢).

(ب) التخلص من كل تراث صحيح، وأصول قائمة يستوي في ذلك ما يتعلق بالعقيدة والشريعة والتعاليم الإلهية، ويذكر عمر عنايت "أن البهاء جن وكان ابنه عباس يعمل حاجباً له حتى لا يعرف الناس علة أبيه"(٣).

ولا يخفي أن ما يقوم به هؤلاء يعبر عن سلوكيات غير مقبولة، وتوجهات ليست صحيحة، ويترتب عليه إعلان رغبة النيل من الكتاب والسنة ودين الإسلام علي وجه الكمال والله غالب علي أمره.

لقد نبه علماء المسلمين أن هذا الباب يمكن إغلاقه متي وجدت العقول التي تفهم الأهداف والغايات، أما لماذا؟ فلأن نبوة سيدنا محمد (ﷺ) ما تزال باقية ومن ملامح بقائها اللغة التي نقلت بها(٤)، يقول الإمام الأشعري: "النبي الآن حي في حكم الرسالة، وحكم

---

(١) - أبو الفضائل الإيراني الحجج البهية، ص١٦١ .

(٢) - د/ محمد عبد الغني شامة،"الغارة علي العالم الإسلامي" ص٣٥ .

(٣) - عمر عنايت،"العقائد"، ص١٥٦، ط القاهرة ١٩٢٨م .

(٤) - المراد باللغة النصوص الصحيحة التي تحدث بها الرسول (ﷺ) ووقف لها مدافعاً عنها علماء =

الشيء يقوم مقام أصل الشيء"[١].

وما دامت نبوته قائمة مستمرة، فإن الخروج عليها يمثل صورة من صور الفكر المتدني الذي يسعي أصحابه إلي التعبير عن أنفسهم بغض النظر عن المقدمات التي يسوقونها.

وقد أكد د/ دراز أن هذا الجانب الذي يجيء منه أصحاب العقول التي تحتاج الاستراحام قضي عليه الله سبحانه وتعالي في نصوص قرآنية واضحة الدلالة، ثم استشهد بقوله تعالي: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[٢].

وغايته من ذلك بيان أن ذوي العقول الضعيفة لو تأملوا في النص نفسه ربما تراجعوا عن شطحاتهم، أما لماذا؟ فلأن الآية فيها دلالة علي أن الرسول (ﷺ) لم يقع منه شيء غير ما أمره الله به فيما يتعلق بالرسالة، ثم يقول: "ما ظنك بهذه الحياة النبوية التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية في نفس صاحبها فتريك باطنه من ظاهره، وتريك الصدق والإخلاص مثلاً في كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله، بل كان الناظر إليه نجد أنه قد قويت فطنته وحسنت فراسته، كما يري أخلاقه العالية تلوح في محياه، ولو لم يتكلم أو يعمل[٣].

وبناءً عليه فإن من يدعي فتح النبوة بعد رسول الله (ﷺ) فإنما يهدف إلي تمكين ضعاف

=

الإسلام الذين لهم دور واضح في رد شبهات الآخرين، والدفع بها بعيداً عن المسار التي تمضي فيه النبوة الخاتمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

(١) - الإمام أبو المعين النسفي، "بحر الكلام في أصول الدين"، ص٢٨٤، تحقيق د/ عبد الله محمد إسماعيل، ود/ محمد السيد شحاته، المكتبة الأزهرية للتراث ط١، ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ.

(٢) - سورة الأحقاف الآية (٩).

(٣) - د/ محمد عبد الله دراز النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ص٣٨، اعتني به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدخاخني -ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

العقول من القفز إلي منصة الترويج، والتعلق بأهداب النبوة، وفي ذلك تدمير للإنسانية علي وجه العموم، بما يترتب عليه من القول بأن من أخطار فتح النبوة ضياع الأصول الثابتة والقفز فوق القواعد الأساسية، فيترتب عليه خراب الدين والدنيا معاً، وهو الذي يسعي إليه الملحدون بغض النظر عن هوياتهم.

الرابع: التقول علي الله تعالي:

ومعناه أن الذين يزعمون فتح باب النبوة الذي ختم بسيدنا محمد (ﷺ) هم متقولون علي الله وعلي رسوله؛ لأن الله تعالي قال ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[1]، فمن زعم أن الرسول (ﷺ) لم تختم بنبوته النبوات وبرسالاته الرسالات فقد كذب الله، -العياذ بالله- فيما أنزل، وتقول عليه بما لم يقول، وقد نبه الإمام النسفي (ت٥٠٨هـ) إلي أن نبوة سيدنا محمد (ﷺ) قائمة ورسالته خاتمة، ثم فصل القول في عبارات دقيقة المعني، فيقول: "هو رسول في الحال[2]؛ لأنه لو لم يكن رسولاً في الحال لا يصح إيمان من أسلم وآمن به[3]، وكذلك نقول في الآذان أشهد أن محمداً رسول الله، ولا نقول أشهد أن محمداً كان رسول الله[4].

لقد كشفت عبارة الإمام النسفي عن واقع يحتاج بعض الإضاءة للاستفادة بدليل أن جميع المسلمين منذ بُعث الرسول (ﷺ) حتى تقوم الساعة إنما يشهدون في آذانهم بالشهادتين

---

(١) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) - المراد بالحال الزمان الذي يمتد حتى قيام الساعة ففي كل يوم هو حال النفس اليوم وبناءً عليه فعبارة الشيخ تحمل من الدقة في الصياغة والتركيب ما يؤدي إلي فهم المعني علي ناحية صحيحة.

(٣) - في العبارة دلالة علي أن كل من آمن بالنبوة الخاتمة بسيدنا محمد فإنما هو مستمر علي ما أسلم وآمن بدلالة الحال والاستقبال، وذلك من فنون الكلام، ومجازاته اللغوية، واستعمالاته التعبيرية.

(٤) - الإمام أبو المعين النسفي بحر الكلام في أصول الدين ص٢٨٥.

"أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله" فقد دل السياق علي أن النبوة الخاتمة بسيدنا محمد (ﷺ) قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن سياق العبارة علي النحو الذي سلف يلقي في وجوه المكذبين بحجارة من سجيل تجعلهم بإذن الله كعصف مأكول، أما لماذا؟ فلأن كل من ادعا النبوة بعد الرسول (ﷺ) لم ينزل عليه وحي، بل كل من ادعاها ثبت أنه لم يكن سليم العقل، ولا صحيح الاعتقاد، بل ولا يملك من أمر نفسه ما يجعله في وضع يتم التعامل به علي ناحية صحيحة، وقد اشترك في هذا ادعياء النبوة الكاذبة جميعًا، من ذلك أولئك الذين قاموا بادعائها في حياة النبي (ﷺ) ومنهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي.

لقد سعي أصحاب النبوات الكاذبة في التعلق بأخبار حكم أهل العلم بأنها إما موقوفة علي الراوي أو ضعيفة، منها أن إبراهيم ابن النبي (ﷺ) لو عاش لكان نبيًا، وأنه لو كان بعده نبي آخر لعاش إبراهيم، وما روي أن النبي أدخل يده في قبر ابنه بعد دفنه، وقال ألا إنه نبي ابن نبي.

غير أن الإمام النووي عقب علي هذه الأقوال وحكم عليها بالبطلان، وذكر أن فيها جسارة علي الكلام علي المغيبات، ومجازفة بجانب الهجوم علي أمر عظيم[1].

ثم أن الإمام ابن عبد البر رحمه الله يتعجب من تلك الأقوال التي لم تصح فيقول: " لا أدري ما هذا فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبيًا لكان كل أحد نبي لأنهم من نوح عليه السلام[2].

---

(١) - راجع للإمام شهاب الدين الألوسي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٧، ص٥٩، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) - راجع للإمام الألوسي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٧، ص٥٩.

ولا أدري لماذا يتعلل أصحاب النبوات الكاذبة بأخبار كهذه، واعتقد أنها إن صحت فيمكن حملها علي وجه من وجوه التأويل التي تثبت النبوة الخاتمة ولا تنفيها، وتنتهي إلي أن النبي الخاتم هو سيدنا محمد (ﷺ) لا واحد بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن البداهة العقلية والأحكام العلمية ما قرره أصحاب الفن أنفسهم من أن الحديث النبوي مهما علت درجته، إذا تناقض مع صريح النقل من الكتاب كان دليلاً علي عدم صحته، والواضح أن تناقض هذه الأحاديث مع آية الختم تناقض واضح لكل ذي عقل، وفوق ذلك فالنبوة الخاتمة ليست إرثًا، بدليل أن الكثيرين من أبناء الأنبياء السابقين لم يكونوا أنبياء، وبالتالي فلا تعلق مسألة ختم النبوة بما تعلل به الملحدون قديمًا أو حديثًا، وهذا مما يؤكد أن الذين يدعونها إنما وقعوا في "اغرار لا شعوري باحتمالات النجاح في سبيل تحقيق الأهداف الشخصية أو الجماعية"(١).

ومن المؤكد أن كل المتنبئين قد أصابهم ما أصابهم، وهو التقول علي الله، والكذب المتعمد، واستعمال الحيل الشيطانية بغرض تكذيب الله في كتابه وتكذيب الرسول (ﷺ) فيما بلغه عن ربه، وهم بهذا يعبرون عن فساد معتقداتهم وانحلال أخلاقهم، واختلال تفكيرهم بجانب التمويه والتضليل بغرض السيطرة علي الآخر من خلال زلزلة عقيدتهم ونشر الاباحية بين الناس(٢).

ويذكر د/ عثمان عيش أن آثار هؤلاء المتنبئة الفاسدين في المجتمعات الإسلامية

---

(١) - د/ عثمان عيش عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص٨٨.

(٢) - من المؤكد أن هؤلاء يقومون بأعمال موجهة عن طريق آخرين استغلوا فيهم طلب الزعامة وأدركوا ما يعانون من أمراض نفسية أو مجتمعية وأخلاقية، بجانب عثرات مالية ونزعات سياسية فجمعوا هذه كلها، وسعوا إلي تمكينهم عن طريق تلك التنبؤات الكاذبة حتى تضيع المجتمعات المسلمة بأيدي أبنائها بدل أن تضيع بأيدي أعدائها.

واضحة" حيثما كانوا ينشرون مذاهبهم بين الناس، ويجمعون طوائفهم عليها لهي آثار الأدعياء المضللين لا الأنبياء الصادقين، إن أي سبب يمكن أن يكون وراء ادعائهم للنبوة، إلا أن يكونوا صادقين في هذا الادعاء[١].

ومما يدل علي تقولهم علي الله تعالي زعمهم بأن الأنبياء الذين ادعوها بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ الخاتمة طوراً فيهم فزعموهم آلهة وأنهم يدركون من الألوهية أكثر مما يدركون من النبوة وأنهم أنوار في النبوة، -وأنوار في الإمام -، مما حدا بالشيخ آل كاشف الغطاء في إصدار حكم قاطع فيهم، وهو أن الامامية يعتقدون أن كل من اعتقد أو ادعا النبوة بعد محمد (ﷺ) أو نزول وحي أو كتاب، فهو كافر يجب قتله[٢].

وإذا كان هذا اعتقاد المعتدلين من أئمة الشيعة فمن المؤكد أن أهل السنة والجماعة كلهم علي قلب رجل واحد في التمسك بالنصوص الواردة عن الله تعالي بشأن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) والتأكيد علي أن القول بمخالفتها فيه كذب علي الله وعلي رسول الله، وإهدار لأحكام الشريعة الإلهية، وفتح الأبواب ليتسلل منها أعداء الإسلام الذين ارتضعوا ألبان الالحاد، وعملوا علي خدمة الشيطان، وهل هناك أكثر مما زعمه كل من الباب والبهاء وغلام أحمد وغيرهم، لقد ذكر الأخير أن له العصمة، وأنه أنزلت إليه كتب سماوية، وأن كل ما يقوله " من أنواع حسن البيان أو من تفسير القرآن فهو من الرحمن[٣].

في ذات الوقت فإن الخروج علي كتاب الله، والكذب فيما يتعلق بما أنزل الله هو من الدلائل الواضحة علي بعدهم عن الحق، ووقوعهم في دوائر الضلال بما يترتب عليه من

---

(١) - د/ عثمان عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص٩٣.

(٢) - الشيخ آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص٨٧ .

(٣) - غلام أحمد"نور الحق صحة نائبة، ص٧٢، نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص١٦٣.

فساد الأمم وخراب الذمم، واستعمال التأويل المرفوض، والتوسع فيه إلي الحد الذي ينتهي إلي ضرورة إنكار النبوة الخاتمة مستغلين السياقات الصحيحة وفصلها عن بعضها، يقول د/ طه حبيشي "الذين ادعوا النبوة بعد النبي (ﷺ) تناولوا كلمة وخاتم النبيين مقطوعة عن سياقها ولحاقها، فانقطع معناها وعزلت عن تمام دلالتها، فتمكنوا من أن يشوشوا علي معناها وعلي إيمان البسطاء أو الجاهلين[(١)]، وحسابهم علي الله.

الخامس: إحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية:

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يجب التخلي عنها نظراً لقيام الخصومة بين الدين والعقل تحت مزاعم التنوير، وقد أكد د/ البهي أن التنوير الذي يحتكم إليه الإنسان بعيداً عن الشرع الإلهي يمثل "خصومة فكرية بين الدين والعقل، واتجه التفكير فيه إلي إخضاع الدين للعقل"[(٢)]، مع أن المفروض هو إخضاع العقل السليم لنصوص الدين الإلهي.

وبناءً عليه صار الإيمان بالعقل هو القاعدة التي يجب التمسك بها؛ لأن الموقف العقلاني يؤكد علي أن المعقول هو الطبيعي وليس الغيبي، وما دامت عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) من المسائل الغيبية التي تصادم الفكر العقلاني، فمن الضروري التخلص منها والتخلي عنها، ودعاواهم جميعها كذب وإفتراء على الله تعالي.

بل إن شهوة العقلانية تتجه إلي اسقاط كل ما هو غيبي، أما لماذا؟ فلأن الفكر العقلاني تصدر منه عبارة لا أؤمن بالغيب لأنه غير عقلاني وغير قابل للفهم، كما يزعمون أن "سبيلنا إلي فهم الواقع الطبيعي مرده إلي الوسائل التي يعرفها أكثرنا باسم مناهج البحث

---

(١) – د/ طه حبيشي، الجانب العقدي في فكر الإمام الغزالي، مع تحقيق كتاب قواعد العقائد، ج٢، صـ ١٥٧، ط١ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع القاهرة١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٢) – د/ محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٢٩٧ –٢٩٨ .

العلمي"[١].

لقد كانت تهمة الدين عند هؤلاء قائمة في أن فيه "كثيراً من الخرافات، ويستند إلي أسس غير واقعية إنه يقوم علي المجهول، ويعتمد علي غير المنظور مما وراء الحس"[٢]، إنهم يعتقدون أن ما يتعلق بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ما هي إلا فروض وهمية أنشأها الخوف وجسمها الاعتقاد الفاسد، ومن الضروري التخلي عنها، وإحداث بديل لها.

لقد اعتقد هؤلاء أن العقل كاف في تحصيل كافة الأمور، وأن الوهم والخرافة إنما هما من ناتج التعلق بالدين، والتمسك بقضايا غير مقبولة عند العقل، وهو اتجاه يمجد العقل علي حساب الدين، ويحاول إسقاط النصوص الإلهية، واصطناع نصوص وأحكام فلسفية ظن أصحابها أن العقل هو برهانها، وليس الأمر كذلك، أما لماذا؟ فلأن العقل مثل باقي الحواس والعقول كلها لا تزيد عن كونها ألة إدراك، فالعين قطعاً لا تبصر مهما كانت سليمة إلا في الضوء، ولا يمكن أن تري في الظلام مهما كان الحال فإذا تكرر هذا أمكن القول "بأن العقل لا يدرك إلا في ضوء الشرع الإلهي، ونور وحيه تعالي إلي أنبيائه ورسله، ومن رأي غير هذا فإنه يغالط نفسه ويكابر في شيء من الخطأ والضلال"[٣].

لقد بين مفكرو المسلمين أن العقل أحد وسائل المعرفة، وفي ذات الوقت فإن ارتباطه بغير المحسوس وحكمه عليه ليس مقبولاً، أما لماذا؟ فلأن عملية اليقين في الغيبيات تعلوا

---

(١) – كرين برينتون، "تشكيل العقل الحديث"، ص٧٠-٧١، تحقيق شوقي جلال مكتبة الأسرة بالقاهرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م.

(٢) – أ/ عبد الكريم الخطيب "قضية الألوهية بين الفلسفة واليدين، الله ذاتاً وموضوعاً"، ص٤٢، ط٣، دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

(٣) – د/ ممدوح فخري "التطور الفكري وعلاقة الشرع بالعقل"، ص٢٦، ط المدينة المنورة رجب عام ١٣٨٩هـ.

علي العقل، وليس في هذا إلغاء للعقل بل إعمال له.

بل أجمع المسلمون طبقاً لما وردت به النصوص الإسلامية في رفع التكليف عن الصبيان والمجانين، ومن لا يدركون أفعالهم عند النوم يدل عليه ما ورد بالحديث الشريف" رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق "[١].

لقد أمر الله تعالي العقل بالتدبر فيما هو متاح له ونهاه عن الممنوع منه استخدامه في غير موضعه، بالتالي فالمسلمون لا يقللون من شأن العقل، ولا يخالفون في أحكامه، وفي نفس الوقت يضعونه الموضع اللائق به[٢]، ولو كان العقل يدرك كل الأشياء لما كان هناك حاجة إلي إنزال الكتب أو إرسال الرسل.

يقول الإمام السرهندي: "إن طور النبوة وراء العقل، والتفكير في الحقائق التي يعجز العقل عن إدراكها تأتي النبوة لتثبيتها وتحقيقها، ولو كان العقل كافياً وحده لما بعث الأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين"[٣].

وبناءً عليه فإن العقل حجة الله علي عباده، ولكنه ليس بحجة بالغة، ولا حجة كاملة إنما حجة بما يتناسب معه، وتتحقق الحجة البالغة ببعثة الأنبياء والرسل، ثم إن الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تعطي العقل أمانه، ومن ثم فإن طريقة النبوة وختمها بسيدنا محمد يؤيد طريق

---

(١) – الإمام ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، "سنن ابن ماجه" ج١، ص٦٥٨، رقم الحديث (٢٠٤١).

(٢) – من الموضع اللائق به استعماله فيما هو متاح له، والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، بجانب الاجتهاد في المسائل العلمية، وفوق ذلك اكتشاف العلوم المادية التي يترتب عليها ترقية المجتمع وتطوره.

(٣) – الإمام السرهندي "الرسالة"، ص٣٦، المجموعة الثانية.

العقل وهو النظر والاستدلال، وتؤكده ولا يتم ذلك علي وجه اليقين إلا بتقليد الأنبياء واتباعهم.

لقد فهم ابن خلدون مسألة العقل وما يتعلق به، وأكد أن أحكامه يقينية فيما هو متاح له، أما ما وراء ذلك فهو طمع في محال، يقول ابن خلدون: "العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال"(١).

وغايته من ذلك التأكيد علي أن الأحكام اليقينية للعقل لا يمكنها أن تتجاوز حدودها، أما لماذا؟ فلأن العقل لا يستطيع أن يحيط بذات الله وحقيقة صفاته، لما هو معلوم من أنه لا يعرف الله علي الحقيقة إلا الله، وهو عين التفويض في الغيبيات، ومن يتجاوز ذلك فإنما يحمل عقله ما لا يحتمل، حينئذٍ يضل العقل ولا يهتدي، ويحار ولا يتواصل، ولذا فالمعتبر في التوحيد هو تكيف النفس في الكمال، وهو المهم في الاعتقادات، وحصول ملكة الطاعة والانقياد في الأعمال والعبادات مع تفريغ القلب عن شواغل ما سوي المعبود، وهذا مما يفيد العقل والعبد، ويرسخ للقاعدة القائمة علي التكليف، واستلزام العقل هذا الطريق مع التسليم بما يجب لله، هو الذي تحصل به العقيدة الإيمانية، وتترتب عليه السعادة الدنيوية والأخروية.

من المؤكد أنه لا يوجد عداء بين الدين والعقل، وإنما العداء كل العداء بين العقل والخرافة، أو الدين والخرافة، فالعقل السليم ضد الخرافة من حيث أنه لا يقبلها كما أن نصوص الدين الصحيح لا تقبله، يقول الإمام محمد عبده: "النبوة تحدد ما ينبغي أن يلحظ في جانب الوجود من الصفات، وما يحتاج إليه البشر كافة من ذلك"(٢).

---

(١) - عبد الرحمن ابن خلدون "المقدمة" ص٤٦٠، ط٥، دار القلم بيروت ١٩٨٤م.

(٢) - الإمام محمد عبده "رسالة التوحيد" ص١١٤.

ومن ثم فالنبوة الخاتمة هي المعول عليه من كافة الوجوه؛ لأنها آخر رسالات السماء إلي الأرض، وهي حبل الاتصال بين الله وبين خلقه، ولا يمكن أبداً إلا أن تكون موفية بحاجات البشر علي ناحية الكمال في الاعتقاد والتشريع بجانب القيم والأخلاق، فإذا تم التخلص منها أو حاوله البعض ضاعت الأصول، وتلاشت المعالم فلم يعد في الناس إلا الخراب والدمار[1].

أضف إلي ما سبق أنه لو استقل عقل بشري بكافة المصالح لم يكن علي الطريق المطلوب من الجزم واليقين والاقتناع.

(١) - القاعدة أن رسالات السماء إلي أهل الأرض لطف من الله تعالي ورحمة، والتمسك بها فيه حكم ومصالح، والتخلي عنها ترتبط به مفاسد، وصاحب العقل السليم قد فطر علي السعي لما فيه المصالح لا ما فيه المفاسد.

الخاتمة

شاءت إرادة الله تعالي أن تمضي أمور هذا البحث علي النحو الذي رأيت ضرورة القيام به علي كل من يتمكن منه نظراً لوجود تيارات تحاول القضاء علي عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) وإزالتها من عقول المعاصرين والحمد لله أن المقدمات استوفت الجانب الأكبر مما تمنيت، ثم جاءت الخاتمة متضمنة ما سأذكره بتوفيق الله تعالي علي النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١) استمرار التأكيد علي أن القواعد الثابتة لا يمكن أن تنال منها اشكالات بعيدة عن الواقع العملي، أو نزغات شيطانية تحاول القفز إليها؛ لأن الأفكار الفطرية تتلاقي مع عقيدة ختم النبوة في العقل الواعي، والقلب المستنير تلاقي أجزاء العقيدة الإيمانية جميعها.

٢) أن محدد إثبات النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) عرض ذلك في جوانب نقلية وأخري عقلية، وثالثة واقعية؛ لأن الرسول (ﷺ) حينما بلغ أنه مرسل من ربه اجتمع في بلاغه أنه مرسل للإنس والجن والملائكة، وكل من يطلق عليه أو يدخل في عموم لفظ العالمين الذي إقترن بالرحمة والنبوة لسيدنا محمد (ﷺ) في قوله تعالي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، ومن أنكر هذا المحدد فإنما يحكم علي نفسه بأنه فقد عقله وسقطت في العالمين ذاته وفكرته.

٣) أن المحدد الثاني في عموم الرسالة الخاتمة شمل الزمان فلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل، إنما هو زمان ممتد منذ البعثة المباركة حتى يقوم الناس لرب العالمين.

وهو عموم في المكان فما من مكان في الأرض إلا ورسالة سيدنا محمد بالغة إياه شاء من شاء، وأبي من أبي يستوي في ذلك كل من يطلق عليه لفظ العالمين وبناءً عليه فهي رسالة عامة في الزمان والمكان حتى قيام الساعة، وقد قال ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وتربتها

---

(١) - سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

طهورا، وهذا حكم عام في جميع أجزاء الأرض.

٤) أن المحدد الثالث وهو ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) علي معني أنه لا نبي بعده قد شهد له النقل والعقل والواقع، أما شهادة النقل فمنها قوله تعالي: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[١]، ومنها قوله (ﷺ) في حديث طويل: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»[٢].

أما شهادة العقل فلأن إخبار الرسول (ﷺ) بكونه خاتم النبوة لم يقع اخترام له وما زال تحديه قائماً رغم مرور السنين، وتطاول الدهور وهذا في حد ذاته من شواهد العقل له.

وأما شهادة الواقع فلم يأت مدع للنبوة بعد الرسول (ﷺ) وزعم أنه مرسل للإنس جميعاً أو للإنس والجن، ولا مرسل للنبات والحيوان والجماد، وبعبارة موجزة يكون الواقع قدم الوثيقة اليقينية في تصديق سيدنا محمد (ﷺ) بأنه خاتم النبوة، وتكذيباً لمن ادعاها بعده في أي زمان وأي مكان وإلا فإن الواقع ما زال شاهداً وسيظل حتى تقوم الساعة.

٥) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) ترتبط به مصالح تتعلق بالأفراد والمجتمعات، كما تتعلق بكافة الموجودات، وهذا في حد ذاته كاشف عن عقيدة صحيحة، وتكاليف عملية سليمة، وأخلاق إنسانية راقية مستقيمة.

٦) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة تدور فيه مصلحة اشتراك الجنس البشري كله (عالم الظاهر) والأجناس الأخرى (عالم الباطن) وهذا في حد ذاته كاشف عن إيقان السلامة

---

(١) - سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٢) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" كتاب (أحاديث الأنبياء ما ذكر عن بني اسرائيل) ج٦، ص٤٩٥.

والخروج عن المناقضة، واتجاه الجميع إلي صالح الأمة، تطبيقاً للقاعدة من صلح أمر عقيدة استقرت تكاليفه، وصحت عبادته، وسلمت أخلاقه، وصحت معاملاته، فيتحقق الخير للفرد والمجتمع كما يتحقق الأمن والأمان.

٧) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يصيغ التكاليف العملية بالسهولة واليسر تطبيقاً لقاعدة ذهبية مقتبسة من النص المنزل: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[١]، ومفادها أن من آمن بعقيدة ختم النبوة توضع أهدافه العليا أمامه، فتصح عقيدته لأنه متجه بها إلي الله، وتصح عبادته لأنه سائر فيها إلي الله، وتصح قيمه وأخلاقه لأنها وسيلته في القرب من الله، حينئذٍ يقف علي عتبات الأبدية وقد مهد طريق الوصول إليها، ومن المؤكد أن رحمة الله تدركه لأنه بإحسانه وفقه الله.

٨) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يحقق لأفراد المجتمع التواصل، ويوثق فيهم عري المودة، بحيث تسري بينهم المحبة والتقدير والاحترام، حينئذٍ يصير كل فرد كأنه مستخلف عن رسول الله (ﷺ)، فيما يقوم به، فيتقنه ويحسنه ويبعده عن الشوائب من الرياء والكذب والخداع والغش واستخدام الضمائر حينئذٍ يكون من عباد الله المقربين الذين ناداهم رب العالمين من خلال تلك القاعدة الربانية في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"[٢].

---

(١) – سورة الكهف الآية (١١٠).

(٢) – الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج٨، باب (التواضع) ص١٠٥، رقم الحديث (٦٥٠٢).

٩) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يرفع الأخلاق من المستوي الإنساني إلي مستوي أحاسنكم أخلاقاً الذين يتجاورون مع الرسول (ﷺ) في مرتبة الدنيا والآخرة وقد بشرهم بذلك النبي (ﷺ) فعن عبد الله بن عمرو أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا»(١).

، وفي ذات الوقت فإن محاسن الأخلاق هم الذين لا يقتربون من المنهيات؛ لأنهم عرفوا طريق المأمورات فالتزموها علماً وعملاً وممارسة.

١٠) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يجلب لأصحابها السعادة من حيث أنها تجعل طاعتهم لله تعالي منطلقة من دائرة الحب الإلهي، وبناءً عليه فكلما أحب المرء المرء في الله كلما علا رصيدهما معاً، وتحققت لهما السعادة البدنية، والعقلية، والروحية، كما تحققت لهما سعادتا الدنيا والآخرة، أولئك هم السعداء الذين جاءت لهم البشارات في الكتاب والسنة المطهرة.

١١) أن إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يترتب عليه مفاسد يصعب علي الفرد الابتعاد عنها، كما يصعب علي المجتمع البقاء في ظلها؛ لأنها بعيدة عن الفطرة، كما هي بعيدة عن مستوي العقل، واقعة في نطاق الهدم، وفيهم تتحقق القاعدة لا تقوم الساعة إلا علي شرار الخلق، وهو الأمر الذي دلت عليه النصوص ووضح أداؤها في نطاق التوجيه الرباني.

١٢) أن إنكار عقيدة ختم النبوة فيه مصادمة للعقيدة الفطرية التي نبهت إليها النصوص النقلية، وأقرها أصحاب المذاهب الأخلاقية في الإسلام، وبخاصة الحق والواجب فإنكار عقيدة ختم النبوة يلغي الحق الذي شرعه الله، كما يهدم الواجب أو يدعو لهدمه مع أن

---

(١) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم"ج٨، باب (حسن الخلق والسخاء) ص١٣، رقم الحديث (٦٠٣٥).

مصدره الله فيصير الفرد مشتت الفكر، زائغ النظرات ضيق التفكير متشاءم في حياته لا يلقي أحداً إلا ولديه فيه شك وريبة، ومن ثم يتحول أفراد المتجمع إلي مرضي نفسيين، أو من ذوي الاختلالات العقلية.

١٣) الترخيص المباشر في التخلي عن الدين والوقوع في أظافر الإلحاد، فيتحول الأفراد والمجتمع إلي طرق أخري داعيهم إليها: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[١].

١٤) إحداث اختلالات بنائية يترتب عليها التمكين لمن فقدوا القدرة التمييزية في إدعاء النبوة، حينئذٍ يعلنون عن أمراضهم، مؤكدين أنها امتيازات لهم، والقاعدة أن قلب الحقائق محال، فيترتب عليه كثير من ألوان الاضطراب أعاذنا الله منه.

ثانيًا: التوصيات:

١) ضرورة الالتفات إلي القواعد اليقينية البرهانية بحيث يتم اصطحابها في كل مواجهة تدور بين المسلم وغيره، بين المؤمن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ والمنكر لها، فإذا تم ذلك علي وجه صحيح استطعنا أن نتعامل بقضية مهمة، وهي قوله تعالي: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٢]، ومن المؤكد أنهم لن يجدوا برهانًا يقف لهم، وإنما سيجدون براهين متعددة ضدهم، والقاعدة العقلية قاضية بأن صاحب البرهان هو الذي يعلي غيره في كل زمان ومكان.

٢) ضرورة الالتفات إلي ما تنشره وسائل الإعلام المعاصرة التي يكون توجيهها إلي أمة المسلمين مقصود به التشكيك في الثوابت، والطعن علي صحيح النصوص، والتأويل الذي

---

(١) - سورة فاطر الآية (٨).

(٢) - سورة البقرة الآية (١١١).

يفتقد المعايير الصحيحة، فإذا ما تم وضع ذلك في خطة مدروسة وأمكن اعتبار تلك الخطط بمثابة ركائز أساسية يمكن الاستفادة بها في مواجهة هؤلاء نكون قدمنا عملاً نسأل الله أن يثيبنا به .

٣) العمل علي مواجهة أصحاب الفكر الحداثي الذين يحاولون وضع مصطلحات فارغة عن المعاني الصحيحة، ثم يزعمون قيامها علي المناهج العلمية، ويدعون أن التزامها يساهم في القفز بالحضارة إلي سلم الترقي، وهي دعوة كاذبة، وكل ما تقوم فيه أو تنتهي إليه ضلال مبين.

٤) وجوب مواجهة منكري عقيدة ختم النبوة اليوم بوسائلهم ومهما تعددت طرائقها نسبقهم إليها، بحيث نكون قادرين علي تجاوزها، وبيان أن ما نقوم به نحو هذا المشروع من عند الله وما يقوم به هم داعيهم إليها الشيطان، والله تعالي قد وعدنا من نصرة في الدنيا والآخرة، فقال تعالي: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[١]، أما هم فقد وعدهم الله تعالي بقوله: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[٢]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) – سورة غافر الآية (٥١) .

(٢) – سورة الشعراء الآية (٢٢٧) .

فهرس المصادر

اكتفيت بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، حيث أن باقي البيانات مذكورة في هوامش الصفحات تخفيفا علي جريدة المصادر.

١ – القرآن الكريم

٢ – ابن أبي الشريف، العلامة كمال الدين محمد بن محمد. "المسامرة بشرح المسايرة".

٣ – ابن الأمير الشيخ محمد."حاشية الأميرعلي شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني".

٤ – ابن الجوزي، الشيخ أبو الفرج ."ذم الهوي"

٥ – ابن حنبل الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. "مسند الإمام أحمد بن حنبل".

٦ – ابن خلدون، عبد الرحمن. "المقدمة"

٧ – ابن عاشور، الشيخ الطاهر. "تفسير التحرير والتنوير

٨ – ابن ماجة، الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. "سنن ابن ماجه".

٩ – أبو داود، الشيخ سليمان بن الأشعث بن إسحاق. "سنن أبي داود".

١٠ –الألباني، الشيخ ناصر الدين. "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها".

١١ –الألوسي، العلامة الشيخ أبو الثناء. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

١٢ – الإيجي، الإمام عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد. "المواقف في علم الكلام".

١٣ - البخاري، الشيخ محمد بن إسماعيل. "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ".

١٤ -برينتون، كرين. "تشكيل العقل الحديث".

١٥ -البزار، الشيخ أبو بكر أحمد بن عمرو. "مسند البزار" المنشور باسم البحر الزخار.

١٦ -البهي، الدكتور/ محمد ."الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي".

١٧ -التفتازاني، العلامة السعد. " شرح مقاصد الطالبين".

١٨ -جب، هاملت. "دراسات في حضارة الإسلام".

١٩ -الجرجاني، الإمام الشريف. "التعريفات".

٢٠ -الجمل، الدكتور/ فوزي محمود ." الاتجاهات الفكرية الحديثة".

٢١ -الجميل، الشيخ محمد نصر الله ." دراسات حول النحل الباطلة".

٢٢ -الجويني، إمام الحرمين . "البرهان في أصول الفقه".

٢٣ -الجيوشي، الدكتور/ محمد إبراهيم . "البابية والبهائية".

٢٤ -حبيشي، الدكتور/ طه الدسوقي الدمياطي. "النبوة والتنبؤ قراءة جديدة في مسائل العقيدة".

٢٥ -حبيشي، الدكتور/ طه الدسوقي الدمياطي. "الجانب العقدي في فكر الإمام الغزالي".

٢٦ - حجازي، الدكتور/ عوض الله، "دراسات في العقيدة الإسلامية".

٢٧ - خان، الدكتور/ محمد مهدي. "مفتاح باب الأبواب".

٢٨ -الخبازي، العلامة جلال الدين عمر ."الهادي في أصول الدين".

٢٩ الخطيب الأستاذ / عبد الكريم. "قضية الألوهية بين الفلسفة واليدين، الله ذاتاً وموضوعاً".

٣٠-دراز، د/ محمد عبد الله "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن".

٣١- دراز، د/ محمد عبد الله " "الميزان بين السنة والبدعة"، .

٣٢- دراز، د/ محمد عبد الله "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن"

٣٣-الرازي، الإمام فخر الدين. " الإشارة في أصول الكلام".

٣٤-الرازي، الإمام فخرالدين "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين".

٣٥-الرازي، الإمام فخر الدين، "مفاتيح الغيب".

٣٦-رمضان، الدكتور/ عبد العظيم . " الاتجاهات الفكرية الحديثة".

٣٧-السبتي، العلامة ابن خمير. "مقدمات المراشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين".

٣٨-السرهندي، الإمام. "الرسالة"، المجموعة الثانية.

٣٩- السمرقندي، العلامة شمس الدين ."الصحائف الإلهية".

٤٠- السنندجي، الشيخ عبد القادر بن محمد . "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام".

٤١- الشاطبي، الإمام أبو إسحاق إبراهيم اللخمي. "الاعتصام".

٤٢- شامة، الدكتور/ محمد عبد الغني . "الغارة علي العالم الإسلامي ".

٤٣-الشهرستاني، الإمام أبو الفتح. ا" الملل والنحل".

٤٤-الصاوي، الشيخ أحمد . "حاشية علي شرح الخريدة البهية".

٤٥-الصديقي، الشيخ الفاضل المولي محمد بن أسعد الشهير بالجلال الدواني. "العقائد العضدية".

٤٦-الطويل، الأستاذ/ حسن محمد . "الفكر المنحرف".

٤٧-الطير، الشيخ مصطفي ."البابية والبهائية في الميزان".

٤٨ ظهير، الأستاذ/ إحسان إلهي" البهائية نقد وتحليل".

٤٩ -عامري، الدكتور/ سامي ."براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين".

٥٠ -عبد الباقي، أ/ محمد فؤاد ."المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".

٥١ -عبد الخالق، الشيخ عبد الرحمن . "الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها".

٥٢ -عبد المنعم الدكتور/ عثمان . "عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية".

٥٣ -عبده، الإمام محمد . "رسالة التوحيد".

٥٤ -العزب، الدكتور/ فوزي محمود . "الفكر المنحرف المشكلة والعلاج"

٥٥ -العسكري، السيد مرتضي. "عبد الله ابن سبأ وأساطير أخري منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم".

٥٦ -عنايت، عمر ."العقائد".

٥٧ -عياض، القاضي أبو الفضل "الشفا بتعريف حق المصطفي".

٥٨ -الغزالي، الإمام أبو حامد. " فضائح الباطنية".

٥٩ -الغزالي، الإمام أبو حامد. "قواعد العقائد في التوحيد".

٦٠ -الغزالي، الإمام أبو حامد. "كيمياء السعادة".

٦١ -الغزالي، الإمام أبو حامد. "معراج السالكين " .

٦٢ -الغزالي، الإمام أبو حامد. "روضة الطالبين" .

٦٣ -الغزالي، الإمام أبو حامد. " المستصفى".

٦٤ -فخري، الدكتور/ ممدوح . "التطور الفكري وعلاقة الشرع بالعقل".

٦٥ -فرغل، الدكتور/ يحي هاشم . "الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية".

٦٦ -القشيري، الإمام ."لطائف الإشارات ".

٦٧ -الكشميري، العلامة أنور شاه." عقيدة الإسلام".

٦٨ -اللقاني، الشيخ عبد السلام. "شرح عبد السلام المسمى إتحاف المريد علي جوهرة التوحيد".

٦٩ - مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. "المسند الصحيح المختصر".

٧٠ - المسير، الدكتور/ محمد سيد أحمد . "النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها"

٧١ - المظفر، محمد رضي. "عقائد الإمامية".

٧٢ - الندوي، الشيخ أبو الحسن ."خاتم النبيين".

٧٣ - النسفي، الإمام أبو المعين. "بحر الكلام في أصول الدين".

٧٤ - نصر الله، الأستاذ/ علي عبد الحليم . "البهائية دراسة تحليلية".

٧٥ - نووي، الشيخ محمد الشافعي. "نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام".

فهرس المحتويات

عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد دراسة عقدية ٦٧٨

ملخص البحث باللغة العربية: ٦٨٠

ملخص البحث باللغة الإنجليزية: ٦٨١

مقدمة ٦٨٢

أولاً: أسباب اختيار الموضوع: ٦٨٣

ثانيًا: منهجي في الدراسة: ٦٨٤

ثالثًا: أهمية البحث: ٦٨٥

رابعًا: المشكلات البحثية: ٦٨٥

خامسًا: مكونات الدراسة: ٦٨٦

الفصل الأول: محددات بحثية ٦٨٧

تمهيد: ٦٨٧

١) المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ: ٦٨٩

(٢) المحدد الثاني: عموم رسالته ﷺ: ٦٩٦

(٣) المحدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ): ٧٠٢

الفصل الثاني: المصالح المرتبطة بختم النبوة ٧١٠

الأول: كمال الدين: ٧١٠

الثاني: ثبات العقيدة الإلهية وسلامتها: ٧١٠

الثالث: تطبيق الأحكام الشرعية: ٧١٣

الرابع: تحقيق السعادة في أعلي مراتبها: ٧١٦

الخامس: حفظ السلم والسلام: ٧٢١

السادس: كمال الأخلاق الإسلامية: ٧٢٧

الفصل الثالث: مفاسد إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ ٧٣٦

الأول: مصادمة الفطرة السليمة: ٧٣٨

الثاني: شيوع الإلحاد: ٧٤١

الثالث: تمكين ذوي القصور العقلي من إدعاء النبوة: ٧٤٦

الرابع: التقول على الله تعالى: ٧٥٣

الخامس: إحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية: ٧٥٧

الخاتمة ٧٦٢

أولاً: النتائج: ٧٦٢

ثانيًا: التوصيات: ٧٦٦

فهرس المصادر ٧٦٨

فهرس المحتويات ٧٧٣